د. محمد علي عارف جعلوك

أُصول التأليف والإبداع

كيف تكتب.. كيف تقرأ.. كيف تنشر

هل تختلف الكتابة، والقراءة، والنشر
في ظروف الألفية الثالثة



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
بيروت
٢٠٠٠ م - ١٤٢٠/٢١ هـ

تقديم

يحتاج كل منا عندما يكون في موقف ما أن يعبر عن أمور ذات علاقة بصميم مركزه. . . أو أن يعبر عن مشاعرة حيال شخص أو مجموعة من الأشخاص، أو حيال مشهد من المشاهد، أو ما شابه. إلا أنه عندما يمسك قلمه ليكتب ما يجول في فكره أو نفسه، يقف قلمه حائراً متردداً لا يتحرك. قد يكون المرء متحدثاً بارعاً، إلا أنه عند التوجه إلى الكتابة يجد نفسه متعثراً غير قادر على إفراغ أفكاره وخواطره على الورق. ترى ما هو السبب في ذلك؟. هل الأمر يتعلق باللغة واتقان قواعدها؟. أم أن الأمر يتعلق بالأسلوب؟. كيف يبدأ؟. وكيف ينتقل من فكرة إلى أخرى؟. وكيف ينتهي؟. . . أو غير ذلك. . . هذا ما نود التحدث عنه في هذا البحث المتواضع. مستفيدين من خبرتنا المتواضعة في الكتابة من جهة. ومن خبرة من سبقنا في هذا المقام من قديم أو حديث. آملين أن نتمكن من المساهمة في مساعدة الكثير ممن ينطبق عليهم الوصف الذي تقدم. وبنفس الوقت ترانا ملزمين بالنظر إلى المستقبل، والذي بدأت بوادر التغيير فيه الآن بسبب تغير الظروف المحيطة بنا اليوم. نستشرف آفاق المستقبل وما سوف ينعكس على الكتابة والقراءة والنشر بالطرق التقليدية. مقسمين البحث إلى فصول يختص أولها بتحديد لمن نكتب، وما هي الموضوعات التي نود الكتابة فيها. منتقلين إلى الفصل الثاني لنتحدث عن

تحضير الوسائل المساعدة على الكتابة. ثم إذا ما انتقلنا إلى الفصل الثالث أصبح الحديث متوجهاً إلى كيف ندرب أنفسنا على الكتابة، وما هي العناصر التي يجب أن نهتم بها لتكون كتابتنا جيدة. أما في الفصل الرابع فالحديث فيه سيكون عن الكتابة المهنية. وفي الفصل الخامس سنكرس الحديث فيه عن الكتابة الفنية ودور علم البيان فيها. بينما نكرس الفصل السادس لنتحدث عن اللغة وأهميتها بصورة أكثر توسعاً. ثم نأتي في الفصل السابع للحديث عن التخصص في الكتابة والإبداع. ثم نتحدث في الفصل الثامن عن دور التشجيع بألوانه في تنشيط الكتابة. وفي الفصل التاسع نأتي للحديث عن الترجمة ودورها التثقيفي، ومشاكلها المختلفة. أما الفصل العاشر فنتحدث فيه عن دور النشر ودورها في نشر الثقافة الحقيقة، ومشاكل الناشرين والكتّاب والموزعين والقرّاء من جهة، وفيما بينهم من جهة أخرى. وفي الفصل الحادي عشر نتحدث عن أهمية القراءة ودورها التثقيفي. ونختم هذا البحث في الفصل الثاني عشر بالحديث عن مستقبل الكتابة والقراءة في ضوء المستحدثات العصرية.

ونرجوا بعد ذلك أن يلاقي هذا الجهد المتواضع من يعمل على تطويره وتقويمه ليكون أكثر فائدة للكتّاب المبتدئين، والقرّاء أو المثقفين لما يكتب. وأود أن أنوه هنا إلى أنني لم أشر إلى ما تم اقتباسه من المراجع كل حيث تم مثل هذا الاقتباس، لعدم أهمية ذلك للقارىء الكريم. واكتفيت بهذا التنويه، وبإيراد مسرد لها في آخر هذا الكتاب. والله من وراء القصد.

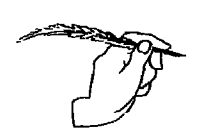
د. محمد علي عارف جعلوك

الفصل الأول

لمن تكتب.. ماذا تكتب

- تمهيد
- الموضوعات السياسية والاجتماعية
- الموضوعات العلمية والعملية
- الموضوعات الأدبية
  - الوصف والصورة
    - الموهبة الفطرية، وصقلها وتنميتها
    - أنواع الوصف
    - مدى الاستغراق في الوصف
  - القصة والرواية
  - المسرحية
  - الحوار والخلفية (السيناريو)
  - المقالة
  - الخطابة، المحاضرة، المناظرة
  - الرسالة
  - الشعر
  - النقد الأدبي





لمن تكتب؟.. وماذا تكتب؟.

لمن تكتب؟ . سؤال بالغ الأهمية. فبالإجابة عليه يتحدد الموضوع الذي تكتب فيه، أو ماذا تكتب؟ . ولعل العكس صحيح أيضاً. فلكل متلق أي من يتوجه إليه الكاتب بالكتابة، طريق يختلف عن طريق المتلقي الآخر. وللموضوع والأسلوب واللغة والمتلقي ارتباط وثيق، فإذا تحدد المتلقي تحددت الأمور الأخرى تلقائياً. فإذا كنا نكتب لطلبة جامعيين فلا بد أن يكون الموضوع في صلب تخصصهم من جهة، ولا بد أن يكون الأسلوب علمياً، واللغة علمية راقية. وكذلك الأمر إذا تحدد الموضوع فإن المتلقي غالباً يكون معروفاً ويتبع ذلك الأسلوب واللغة. فجمهور القراء ليس كتلة واحدة من الناس. إنما لكل قارىء اهتماماته الخاصة والتي قد تجمعه مع أمثاله ليكونوا معاً مجموعة متميزة، ولا يشترط أن يكونوا ممن يعرف بعضهم الآخر. على أن القارىء قد يشترك مع أكثر من مجموعة من القراء ولا يقتصر على مجموعة واحدة منهم. كأن يهتم إضافة إلى مطالعاته للمراجع الجامعية أو التخصصية في مجال مهنته مثلاً أمثال المهندس أو الطبيب أو المحامي أو رجل الأعمال. . . بقراءة كتب

أو مجلات تتناول أموراً سياسية أو اجتماعية أو ثقافية من نوع آخر، لا يمت إلى اهتمامه الأول بصلة. . . فهنالك من يهتم بالرياضة وأخبارها. . وثمة من يهتم بالفن. . أو من يهتم بالأزياء. . إلخ.

وهكذا تختلف الكتابة باختلاف الموضوعات واختلاف المتلقين. لذا كان على الكاتب أن يحدد أولاً لمن يكتب؟. لقارىء القصص والروايات؟. أم لمشاهدي المسرحيات أو الأفلام السينمائية أو المسلسلات التلفزيونية. . . أم أنه يكتب لمتذوقي الشعر أو الأدب؟. أم للمهتمين بالعلوم على ألوانها؟. أم للصحف والمجلات؟. أم أنه يكتب مقالات تنشر في دوريات متخصصة أو غير متخصصة؟. أو يكتب محاضرات تلقى في ندوات. . . أم أنه يعد تقريراً ليتلى في اجتماع ما أو يرفع إلى رئيس؟. أو أنه يكتب مجرد رسالة يشرح فيها مشاعره ويطمئن قارىء الرسالة عن أحواله؟. أو أنه يطلب عملاً أو. . أو. . . إلخ. فلكل موضوع أسلوبه ولغته المتميزين. حيث على الكاتب أن يحدد الموضوع والمتلقي قبل أن يبدأ الكتابة. فما هي الموضوعات التي يكتب عادة فيها؟.

يمكن تقسيم الموضوعات التي يكتب فيها عادة إلى عدد من الفئات أهمها:

1 - الموضوعات السياسية والاجتماعية.

2 - الموضوعات العلمية والعملية.

3 - الموضوعات الأدبية ومنها:

- الوصف والصورة.

- القصة والرواية.
- المسرحية.
- الحوار والخلفية (السيناريو).
- المقالة.
- الخطابة والمحاضرة.
- الرسالة.
- الشعر.
- النقد.

4 ـموضوعات أخرى منها:

- التقارير.
- المذكرات.
- محاضر الاجتماعات.
- الكتابة الصحفية.

5 ـ التصنيف والتحقيق وتتفرع إلى:

- تصنيف أعمال آخرين مما يبحث في موضوع ما.
- تحقيق ومراجعة أعمال مؤلفين آخرين والتعليق عليها.
- إعادة طباعة مؤلفات قديمة بصورة جديدة.

فما هي خصائص كل من هٰذه الموضوعات، وماذا يراعى عند الكتابة في كل منها.



الموضوعات السياسية والاجتماعية

تشكل المواضيع السياسية والاجتماعية مجموعة كبيرة جداً. وتتنوع وتختلف بتنوع واختلاف التوجهات والمسائل التي تعالجها. والتي يمكن أن يندرج تحت عنوانها ما يلي على سبيل المثال لا الحصر:

1 ـ المناسبات القومية والوطنية. كعيد الوحدة، عيد الجلاء، ذكرى ثورة أو حركة وطنية، أو معركة خالدة. . .

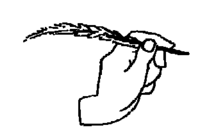
2 ـ مقالات ومحاضرات تتناول الجوانب العملية والتطبيقية للنظريات السياسية والقومية. كالمقالات التي تتحدث عن الأمة، أو مقومات الوحدة العربية والتجارب التي تمت في هذا الصدد وأسباب فشلها. . .

3 ـ المناسبات الاجتماعية. كيوم العمال، والأعياد الدينية. . .

4 ـ مقالات ومحاضرات تتناول الجوانب العملية والتطبيقية للنظريات الاجتماعية والإنسانية. كالمقالات التي تبحث في المشاكل العمالية أو الفلاحية. . .

5 ـ مقالات ومحاضرات تتناول الجوانب العملية والتطبيقية للمسائل التاريخية والجغرافية والاقتصادية. . . كالأحوال الاقتصادية الحالية، من تقدم صناعي أو كساد أو بطالة. . . أو مشاكل التغيرات في الطقس، أو مشاكل البيئة. . .

هذا وليس للموضوعات كما قلنا أعلاه حصر. وما تم ذكره منها هو ليس المثال الوحيد لما يمكن أن يكتب في هذا المجال أو ذاك. إنما غالباً ما تقع معظم الكتابات في مجال الموضوعات السياسية أو الاجتماعية تحت هذه العناوين. وتتصف الكتابة في هذا المجال بالصفة العلمية وارتباطها بالنظريات القومية والسياسية من جهة، وبالتبسيط من جهة أخرى لكونها غالباً ما توجه إلى العامة بما تشمله من مثقفين عاليي الثقافة، ومن هم أقل ثقافة. وتكون موضوعاتها على الأغلب، تتحدث عن المستجدات في واقع الأمة والمجتمع من مشاكل، وشرح خوافيها وأسبابها. . . ووجهة نظر كاتبها في معالجتها. وكثيراً ما يكون الكاتب منتمياً إلى مدرسة قومية أو اجتماعية أو سياسية ينطلق في معالجة الموضوع من خلال الفكر الذي تتبناه مدرسته الفكرية تلك. لذا قد يعتور بعض المعالجات بعض التحيز أو التعصب أو ما شابه. . . وهنا يلعب النقد دوراً مهماً في تقويم الأمور وتصحيح الأفكار. وإعطاء الفرصة للقارىء الواعي أن يميز الغث من الثمين. بشرط توفر حرية النقد وحرية الفكر بشكل عام. وهو أحد الشروط لتكون مثل هذه الكتابات عاملاً مهماً من عوامل تقدم الأمة ونضوج أبنائها فكرياً.



الموضوعات العلمية والعملية

وهي أيضاً موضوعات واسعة المجال... تشمل الكتابة في مختلف فروع العلم. ومنها:

1 - **العلوم الطبية والصيدلانية**: وتشمل كافة العلوم التي تتعلق بالطب البشري والحيواني، بمختلف اختصاصاتها بما في ذلك التصوير الشعاعي والتحليل. وبعلوم الصيدلة والأدوية، والوراثة...

2 - **العلوم الهندسية**: ومنها ما يختص بالهندسة المدنية أو المعمارية أو الكهربائية أو الميكانيكية أو هندسة الإنتاج أو الهندسة في مجال التقنيات الحديثة ولا سيما الإلكترونيات...

3 - **العلوم الطبيعية**: وتشمل الرياضيات والفيزياء والكيمياء، والجيولوجيا، والطوبوغرافيا، والتشريح الحيواني، والنباتي وما يتفرع عنها، وما يستحدث.

4 ـ **العلوم الإنسانية:** وتشمل التاريخ والجغرافيا والفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع، والاقتصاد، والإدارة. . .

5 ـ **العلوم الفنية:** وتشمل العلوم المتعلقة بالمدارس والنظريات التي تبحث في فنون الرسم والنحت والموسيقا والآداب والشعر. . .

6 ـ **الأدلة وكتيبات طريقة العمل:** وهي ما تصدره المؤسسات والجمعيات المتخصصة كأدلة المنتجين والمصدرين. . . أو ما يصدر عن الشركات الصانعة مما يرفق مع الأجهزة والمعدات لتبين للمستخدم، كيفية تركيبها أو كيفية تشغيلها أو الإعلانات. . .

وتعتمد الكتابة في هذا المجال اللغة العلمية، وعادة ما يكون لكل فرع من العلوم لغته وقاموس مصطلحاته الخاص به. أما الشرح فيحاول الكاتب فيه أن يكون بسيط اللغة، مباشراً في الوصول إلى الفكرة ما أمكن. سعياً منه إلى التخفيف من التعقيد الذي تتسم به العلوم عادة.

وللتوضيح أكثر يلجأ الكاتب في المجالات العلمية إلى إيراد الأمثلة، وشرح التجارب العملية، والرسوم التوضيحية كلما لزم الأمر.



الموضوعات الأدبية

وكما ذكرنا سابقاً، فإن تنوعاً كبيراً في الموضوعات الأدبية عددنا منها:

- الوصف والصورة.
- القصة والرواية.
- المسرحية.
- الحوار والخلفية (السيناريو).
- المقالة.
- الخطابة والمحاضرة.
- الرسالة.
- الشعر.
- النقد.

وسنحاول فيما يلي، إعطاء فكرة موجزة، وواضحة ما أمكن عن كل من الأنواع أعلاه.

ـ الوصف والصورة:

يعتمد الوصف على الملاحظة الحية المتسمة بالدقة التي تميزها نظرة الفنان، وخياله المحلق. فينقلها بحسه المرهف وإبداعه الفني الرائع إلى ذهن القارىء، الذي يتمثلها بكل أبعادها ودقائقها. ويلقي عليها أحاسيسه ومشاعره وخلجات نفسه، فإذا بها صورة حية ندكرها بأنفسنا، ووعينا، ومشاعرنا، كأنها واقع يتحرك بين أيدينا بنبض الحياة بكل معانيها.

وربما لا تقتصر الملاحظة التي أشرنا إليها أعلاه على العين، بل ربما كان للسمع الواعي لأذن الفنان، دور أيضاً في التعرف على الصورة بكل تفاصيلها وأبعادها. فيتولى الكاتب الفنان، بقدرته العجيبة أن ينقلها لنا تتدفق حياة وجاذبية للنفس.

فالوعي والقدرة على تحسس الوقائع والتفاصيل الدقيقة، والملامح التي تعكس نفسية صاحب الصورة عن طريق عين الفنان الذكية، أو أذنه المرهفة، ونفسه الشاعرة، وملكته المبدعة. يمكن أن تقدم لنا صورة نابضة بالحياة، التي تثير لدينا المشاعر الملائمة لما أراد الفنان الكاتب تقديمه لنا بأدائه الأدبي الرائع. وتصويره الفني المبدع. وخياله المحلق.

فإذا استطاع الكاتب أن يفعل ذلك بالصورة وبنا. كان ذلك الفنان العظيم. وإلا فإن عمله لا يرقى إلى مثل هذه المرتبة. ولم يجد من يقرأ له ما يكتب.



الموهبة الفطرية.. وصقلها وتنميتها

وهذا يتطلب من الكاتب أن يتأكد أولاً من مواهبه الفطرية. ثم إذا تأكد من توفرها لديه، أن يعمل على تنمية هذه المواهب بالتدريب المستمر. وبالحصول على الثقافة المناسبة. والتعليم اللازم ولا سيما في علوم اللغة التي يكتب بها. ومتى وجد في نفسه القدرة على الكتابة الفنية، بدأ في الوصف فإن أجاده، كان له أن يحاول التوجه إلى الموضوعات التي يرى أنها تلائم موهبته، وثقافته، ومؤهلاته الأدبية والفنية.

أنواع الوصف:

هذا ويتنوع الوصف فمنه ذلك الوصف الظاهري المجرد والذي يقتصر فيه الكاتب على وصف الواقع البادي للعيان، دون الخوض فيما وراء ذلك. فهو عندما يصف وجهاً لرجل عجوز مثلاً يلاحظ تغضن جلد الوجه كأنه شكل ورق الخس القديم... ومنه الوصف الممتزج بالمشاعر والأحاسيس، والمعبر عن خلجات النفس البشرية، وهو ما يمكن أن ندعوه بالوصف الحي.

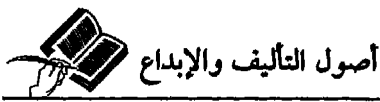
والوصف الحي، هو الوصف الفني الذي يمنحه الكاتب من نفسه ومشاعره، بقدر ما يمنحه من إدراكه، وفنه، وثقافته، وخياله. فإذا بالصورة حياة تتدفق بالنبض، وتحلق بنفس القارىء في أجواء تبعث فيه المشاعر والأحاسيس التي أرادها الشاعر لنا أن تنبعث. وإذا بنا نعيش معها كما تنبأ لنا الشاعر أن نعيش. فنتابعها بكل التفاصيل التي أبدع في وصفها وملأها بانعكاسات من نفسه، فكانت بينه وبين القارىء صلة خفية تربطه به عن طريق هذه الصورة الممتلئة بالحياة والخيال والفن في آن واحد.

مدى الاستغراق في الوصف:

فهل على الكاتب المبدع أن يطلق لقلمه العنان في الاستغراق بالوصف لكل التفاصيل والدقائق. أم أنك تجده يستغني عن بعض هذه التفاصيل والدقائق بما يخدم موضوعه، والفكرة التي يريد أن يوصلها إلينا، والأحاسيس والمشاعر التي يرغب ببعثها فينا عندما نقرأ ما كتب وأبدع؟.

إنه لا شك لن يستغرق في وصف كل شيء. بل يقتصر فقط على وصف ما يكفيه ليعطي قارئه الانطباع المؤثر المفيد للفكرة التي تقف وراء هذا الوصف في ذهن الكاتب الفنان. فالاستغراق في وصف كل تفصيل قد يفسد العمل الفني المقصود. على أن ذلك يعتمد على قدرة الأديب على تقديم الوجوه الأكثر أهمية في الصورة المنقولة، وإهمال التفاصيل الأقل أهمية في معالجة الموضوع الذي من أجله كان هذا الوصف.

وغالباً ما يلجأ الأديب إلى وصف الملامح الأكثر بروزاً والأكثر



تعبيراً عن الصورة المنقولة. فهو في ذلك يشبه في عمله الفني، عمل رسام (الكاريكاتير)، الذي يضخم الملامح المميزة للصورة المنقولة، دون الدخول في التفاصيل العادية التي تنطبق على جميع الصور المماثلة. فتراه يضخم أنف الشخص الذي يتسم أصلاً بالأنف الكبير بصورة غير عادية... أو يطيل الأذنين أو يصغر العينين بحيث يصبحا مجرد نقطة لمن يتسم بعينين صغيرتين... إلخ.

ومما يتبع عادة في الوصف أن يبدأ بوصف إجمالي لموضوع الصورة، ثم ينتقل إلى أكثر الملامح المميزة بتفصيل أكبر. ويرى بعضهم أن على الكاتب أن يتمتع بدقة الملاحظة من جهة، وقوة التعبير القادر على تحريك الأشياء الجامدة، وإنطاق الجوامد الصامتة... من جهة أخرى. كما أن متانة السبك والقدرة على استخدام الصور البلاغية والتشبيهات المتنوعة. وإضفاء أحاسيسه على الصورة، يجعل من عمله صورة فنية مبدعة.

وقد يتوجه الوصف إلى الأشخاص الذين يلفتون نظر الأديب، ويحرك لديه حسه الأدبي. وقد يتوجه إلى وصف الطبيعة وما بها من جبال وحقول، وأشجار ومخلوقات جميلة أو غير جميلة مما يؤثر في نفس الكاتب ويستدعي أدبه ليكتب عنه ويجعله موضوعاً لعمل جديد له... إلخ.

ـ القصة والرواية:

يعتبر بعضهم هذا الفن من الكتابة الأدبية أحد الفنون الحديثة التي

أخذت مكانها في الأدب العربي مع غيرها من الفنون التي لم يكن يعيرها العرب القدماء أي اهتمام، بسبب ظروفهم الحياتية آنذاك، مع البوادر الأولى للاحتكاك مع الحضارة الغربية، والتي نشطت فيها هذه الفنون وتطورت بصورة كبيرة. غير أننا قد نظلم الأدب العربي إذا نفينا وجود القصة نهائياً فيه. فقد اشتهرت لدى العرب القدماء بعض الأساطير، والحكايات. . . وقد ورد في القرآن الكريم عدداً من القصص. كما أشارت بعض آياته إلى قول المشركين عما جاء به القرآن الكريم أنه أساطير الأولين، مما يدل أنها كانت معروفة لديهم. ومع دخول أقطار غير عربية في الإسلام، ظهر عدد من كتّاب القصة كابن المقفع في كتابه كليلة ودمنة، والجاحظ في كتابه الحيوان وغيرهما. وما المقامات غير قصص مكتوبة بأسلوب السجع رغم عدم التزامها بالقواعد الفنية للقصص المعاصرة. إلا أن القصص لم تكن تشكل فناً ذا بال. إذ أن العرب كانوا يقسمون فنونهم الأدبية إلى شعر ونثر. والنثر عندهم، يضم كل الفنون الأدبية من غير الشعر.

على أن ما يمكن اعتباره جديداً على الأدب العربي في فن القصة برأينا، هو الشكل الفن الذي تبنى عليه، والمدارس الفنية المختلفة التي ينتمي إليها أسلوب الكاتب. . . إلخ. إذ لا بد للقصة في عصرنا من مقومات أهمها:

- **الموضوع**: والذي يكون إما نفسياً يعالج النفس البشرية وسلوكها ورغباتها وشهواتها وميولها. . . إلخ. أو اجتماعياً يعالج قضايا المجتمع كقضية المرأة أو الغلاء أو الفقر والغنى، أو المشاكل

العائلية. . . وغير ذلك. أو تاريخية تستمد حوادثها وأفكارها من التاريخ. أو فكرية. . . أو جنائية (بوليسية). . . أو ما شابه.

- **التصميم**: وهو التحليل والتركيب للحوادث والحوار والعلاقات بين شخصيات القصة. وكلما كان التصميم محكماً كلما كانت الحوادث والحوار والعلاقات مترابطة ومتبادلة بسلاسة يغشاها التشويق والإثارة. ويمكن أن يكون التصميم بسيطاً بحيث تدور الحوادث حول أشخاص محددين. أو معقداً بحيث تدور الحوادث بين عدد مختلف من الأشخاص فكأن القصة عدد متداخل من القصص بعضه مع بعضه الآخر.

- **أما العرض**: فيكون أما مباشراً وهو الذي يكون فيه القاص حراً يروي فيه الحوادث بحسب تسلسلها الزمني. أو بطريقة شخصية فيكون القاص أحد شخصيات القصة يرويها بصيغة المتكلم، وقد يعتمد على تداعي الأفكار والمشاعر، دون التقيد بزمان أو مكان. وتكون القصة هنا أكثر إمتاعاً. أو بطريقة الرسائل كاليوميات. أو أخيراً بطريقة التداعي لتيار الوعي دون التقيد بزمان أو مكان أيضاً.

وقد تتخذ القصة أسلوباً فكاهياً أو العكس أي أسلوباً كثيباً حزيناً. أو أسلوباً يخلط بين الفكاهة والحزن. وفي كل الأحوال قد يعتمد الكاتب على استثارة العواطف والمشاعر تجاه شخصياته. وهنالك من يتخذ الفكاهة وسيلة للنقد الاجتماعي والسياسي. وهنالك من يفضل أن يمس العواطف والمشاعر بما يشجيها ويعمل على صقلها وتهذيبها. ولكل كاتب

أو قصاص أسلوبه وهدفه وقدراته في شد القارىء وتشويقه وإمتاعه.

- العقدة: وهي مشكلة في القصة تنسجم وموضوعها الرئيسي، فتتفاقم مع تطور أحداث القصة حتى تصل إلى مرحلة العقدة، التي يصعب حلها. ثم ما يلبث القصاص أن يجد لها حلاً يختم القصة به، أو ربما عرض الحل على مراحل. على أن لكل قاص كما ذكرنا أسلوبه. فمنهم من يفضل الحلول السلمية المرضية، ومنهم من يفضل الحلول المتشائمة. بينما يرى قلة من القصاصين عرض المشكلة دون أن يضع لها حلاً. وقد تتعدد العقد في القصة الواحدة ويلجأ القاص إلى حلها الواحدة تلو الأخرى... أو قد يحلها دفعة واحدة.

- المكان والزمان: والمكان هو البيئة التي تجري فيها أحداث القصة، وترتع فيها شخصياتها كالطبيعة والمناخ، وأساليب الحياة وظروفها... وقد تتعارض البيئة مع هذه الشخصيات، أو تتعاطف، أو تكون حيادية. وذلك حسب أسلوب القاص وفلسفته وظروف القصة. أما الزمان فهو الفترة التاريخية التي جرت أحداث القصة خلالها.

- الشخصيات: وهي الأدوات التي يعرض من خلالها القاص أفكاره والذين تجري أحداث القصة حولهم. ويتفاوت القصاص في قدرتهم على رسم معالم الشخصيات في قصصهم بما يتلاءم والموضوع. وقدرتهم على منح هذه الشخصيات الحياة والدينامية المتناسبة مع ظروف وأحداث القصة التي تشكل الجو

العام فيها. وعلى القاص أن يهتم بوحدة وانسجام ملامح الشخصية مع الدور الذي رسمت من أجله، طيلة جريان أحداث القصة. وهنالك من يعتقد أن على القاص أن يحرر شخصياته من هيمنة أفكاره ومعتقداته الخاصة لينسجم ذلك مع مجريات القصة وأحداثها وموضوعها.

- **الحوار**: وأيضاً يجب أن ينسجم الحوار مع ملامح الشخصية كالمستوى الثقافي والاجتماعي والفكري للشخصية التي تؤدي الحوار. وكذلك مع الظرف والحدث الذي تؤدي فيه الشخصية ذلك الحوار. ومع الموضوع بشكل عام.

- **الأسلوب**: يختلف الأسلوب من قاص لقاص، ومن موقف لموقف في القصة نفسها. على أنه غالباً ما يميل إلى السهولة والرقة والتشويق واعتماد الحوار أو السرد أو كليهما.

- **المغزى**: وهي الفكرة التي ينبغي للقارىء أن يكتشفها بنفسه من خلال عرض أحداث القصة. دون اتخاذ القاص موقف الواعظ كأن يجري النصائح والأفكار صريحة مباشرة على لسان بعض شخصياته. رغم أن أعظم القصص هي تلك التي ينتج عنها توجيه غير مباشر يقصد به إصلاح المجتمع وأبنائه.

يبقى أن نميز القصة والأقصوصة (القصة القصيرة) والرواية.

فالقصة هي تلك التي يتوفر لها جميع العناصر المذكورة أعلاه. ويكون موضوعها منصباً على شخصية البطل ومن حوله ممن تجري

أحداث القصة وحواراتها معهم. والتي تجري في زمن ومكان محدودين نسبياً.

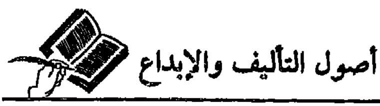
أما الأقصوصة فهي قصة قصيرة تعتمد على شخصية البطل بصورة أساسية، وتحكي حالة ما في زمن قصير جداً، ومكان واحد محدد غالباً.

بينما تكون الرواية قصة شاملة لعدد من الشخصيات الرئيسية، وذات مواضيع متشابكة، وتروي حكاية مجتمع بكامله لفترة تمتد أحياناً لتشمل عصراً بأكمله.

ـ المسرحية:

ليست المسرحية سوى قصة هيئت للتمثيل على خشبة المسرح. فهي ليست قصة تقرأ وإنما تشاهد من خلال ممثلين يؤدونها أمام الجمهور، معتمدين في ذلك على الحوار والحركة، وخلال مدة قد تمتد إلى عدة ساعات. وعلى المؤلف أن يراعي طبيعة المسرح وتأثيره على بناء المسرحية. وقد اعتمد مبدأ الوحدات الثلاث، الزمان، والمكان، والعمل المسرحي. على أن كتّاب المسرحية المحدثين انقلبوا على ذلك وأصبحوا أكثر حرية في التصرف.

وللمسرحية مقومات تتشابه مع مقومات القصة مع مراعاة الطبيعة المسرحية كما بينا أعلاه. ويكون التشابه في عناصر لا بد من توفرها كالموضوع، والمكان، والزمان، والشخصيات، والحوار، والعقدة، والمغزى. أما الاختلاف فيكون في عناصر تختص بها المسرحية كالحركة المسرحية، وما يدعى «بالسيناريو» وهو الحوار والخلفية للمشاهد من



جهة. وأهمية الإخراج الذي ينسق بين المواقف والشخصيات وإظهار ما يريد الكاتب بصورة تمثيلية معبرة عن الموضوع والشخصية، وكيفية تسلسل الأحداث، والمؤثرات الضرورية... إلخ.

وقد ظهر للمسرحية فنون منها ما يدعى بالمأساة (الدراما) وهي التي تصور الحياة بمآسيها ومتعها، جدها وهزلها. أو الملهاة (الكوميديا) التي تهدف إلى إمتاع المشاهد سواء لمجرد الإمتاع أم للنقد الساخر الضاحك، أو المسرحية الغنائية (الأوبرا) وهي المسرحية الشعرية التي يؤديها مغنون من نوع خاص، وغالباً ما تستمد مواضيعها من الأساطير، وقد يصاحبها نوع من الأداء الخاص كالرقص والموسيقى، كما يتم إعداد المسرح بطريقة خاصة تتسم بالبذخ والزينة والملابس الخاصة ذات الألوان الزاهية... إلخ.

أما عن المسرحية في هذه الأيام فقد تخلت عن كثير من القيود التي التزم بها المسرحيون الأقدمون، وأصبح مسرحيوا اليوم يعتمدون الواقعية وعدم التكلف سواء بالنسبة للموضوع أم بالنسبة لأسلوب المعالجة أم الأداء.

ـ الحوار والخلفية (السيناريو):

في أيامنا هذه أصبح هنالك ما يعرف بكتّاب (السيناريو) وهي كلمة أجنبية معناها يشمل الحوار والخلفية. ويختص هؤلاء بإعادة كتابة القصة أو الرواية لتصبح ملائمة لتمثل في السينما ثم في التلفاز. ويتولى كاتب السيناريو إعداد القصة التي تعتمد السرد لتكون بشكل حوار بين

أشخاصها. مع بيان خلفية المشهد الملائمة لمجريات الأحداث وحركة الشخصيات، والموضوع الأساسي والمغزى المطلوب. إذ على كاتب السيناريو أن يكون:

- ذا ثقافة واسعة.
- قادراً على استيعاب الموضوع والمغزى الذي قصده الكاتب الأصلي.
- قادراً على إعادة كتابة القصة بشكل حواري دون أن يفقدها حبكتها ومواقفها وتسلسل أحداثها الأساسية.

وتعد كتابة السيناريو اليوم ذات أهمية بالغة في عالم السينما والتلفاز. حيث تساعد المخرج بصورة كبيرة في إظهار العمل التمثيلي بشكل ناجح. والحوار قد يكتب بالفصحى أو العامة (اللغة المحكية) والثاني هو الغالب في أيامنا هذه.

- المقالة:

تكتب المقالة لتنشر في جريدة أو مجلة بهدف معالجة موضوع ما. على أن حجم المقالة مهما طال فهو لا يمكن أن يتجاوز عدداً من الصفحات قل أو كثر. وبسبب الحجم هذا فإن كاتب المقالة لا يمكنه التوسع في معالجة موضوعه الذي يحاول جاهداً أن يورد الحجج والبراهين على صحته بحدود الإمكان، وبكل اختصار وتبسيط مع المحافظة على الوضوح والمنهج العلمي والمنطقي. مع عدم استبعاد الجانب العاطفي، والتصوير الفني.

وتختلف مواضيع المقالات من كاتب إلى آخر، ومن وسيلة نشر إلى أخرى. فهي قد تعالج مواضيعاً ذات صبغة علمية، أو أدبية، أو اجتماعية، أو سياسية، أو نقدية...

وأهم عناصر المقالة الفكرة، والأسلوب، والعرض... وتتشكل من مقدمة وموضوع وخاتمة. ففي المقدمة يعرض الكاتب الموضوع الذي يود معالجته في هذه المقالة عرضاً سريعاً. ثم يتحول ليشرح الموضوع وإيراد البراهين والحجج وعرض الموضوع بصورة أكثر تفصيلاً. وفي الخاتمة يكون الكاتب قد وصل بالقارىء إلى النتيجة التي أرادها من كتابة المقالة ليختمها بها. وعلى كاتب المقالة أن يراعي تسلسل الأفكار والتحليل والتركيب وحسن اختيار التعابير والألفاظ الملائمة للموضوع ولا سيما المصطلحات العلمية والفنية المعتمدة في مثل هذه المواضيع... وبالإجمال، فإن الكاتب كلما كان مقنعاً كلما كان لعمله هذا التأثير الجيد لدى القارىء.

ويميز بعضهم بين المقالات الذاتية والتي تشمل المقالات الأدبية التي تعتمد على جمال الأسلوب وقوة البيان والألفاظ والموسيقا والعواطف والخيال...

وبين المقالات الموضوعية، كالموضوعات العلمية والاجتماعية والسياسية والنقدية. وقد تأثرت المقالة التي هي فن جديد على الفنون الأدبية العربية، بالحضارة الأجنبية، حيث أصبحت الصحافة إحدى أنماط الحياة لدينا. وأصبحت بالتالي المقالة إحدى الفنون المعروفة في حياتنا الحاضرة.

ـ الخطابة، المحاضرة، المناظرة:

العرب من أكثر الناس خطابة. فالخطابة فن من أهم الفنون التي مارسها العرب في الجاهلية والإسلام ولا سيما في صدره الأول. وهو فن يتسم بالاتصال بالجمهور مباشرة، ويخاطب حاسة السمع صورة أساسية. على أننا نجد هذا الفن حديثاً قد اتخذ مظاهر عديدة منها الخطب السياسية والاجتماعية، والمحاضرة، والندوة أو المناظرة. وأصبح لكل منها قواعدها وأسلوبها الخاص.

فالخطابة السياسية والاجتماعية مثلاً تهدف غالباً إلى مخاطبة عواطف الجماهير بنفس الوقت الذي تخاطب بها عقولهم. فتثير فيهم الحماس لموقف ما أو قضية يدعوا لها الخطيب. .

أما المحاضرة فهي وسيلة حديثة درج المحاضرون في مواضيع علمية أو أدبية أو فنية على استخدامها. بقصد توضيح موضوع ما ينال اهتمام جمهور معين. وتعرف الشروح التي يلقيها أساتذة الجامعات بالمحاضرات لكونها تنصب على مواضيع محددة موجهة إلى جمهور محدد هم طلاب أحد صفوف كلية أو معهد ما. وهي كالمقالة تحاول التركيز على الموضوع وتراعي الدقة العلمية مع ما أمكن من التبسيط. وكثيراً ما يستخدمها المحاضرون من ذوي الاختصاص والعلم الرفيع في شرح وجهة نظر معينة أو اكتشاف توصل المحاضر إليه. . . وقلما توجه المحاضرة إلى الجمهور العام كما هو الحال في الخطب.

وأما المناظرة أو الندوة فهي أن يدعى أكثر من شخص لكل منهم وجهة نظر حول مسألة ما، وقد نوهنا عن مثل هذا النوع من الفنون في

كتابنا «الحوار . . لغة الأقوياء؟! أم الضعفاء؟!». يمكن لمن يرغب بالمزيد أن يرجع إليه.

وبصورة عامة فإن الخطابة بأنواعها المشار إليها لها مقوماتها المشابهة للمقالة فهي تتألف من مقدمة تختصر الموضوع، ثم العرض والذي يجب أن يتميز أسلوبه بالقوة والإقناع، فالخاتمة التي يلخص فيها القصد والنتيجة المرجوة من هذه الخطبة. أما المناظرة فلا بد لها من مدير يوجه الحديث فيها بين المتحاورين ليعرض كل منهم وجهة نظره حول الموضوع الذي يجزئه إلى مواضيع فرعية، ثم يحاول أن يلخص وجهات النظر حول الأمر كله في نهاية الندوة. ويمكن أن تنظم الندوة في مكان مفتوح يشترك فيه الجمهور، وقد يساهم بعض الحاضرين من الجمهور بمداخلات معينة. . . أو في مكان مغلق يقتصر على المتناظرين كما هو الحال في الندوات الإذاعية والتلفازية والتي قد يشارك فيها الجمهور بمداخلات عبر وسائل الاتصال الهاتفية. أو جمهوراً خاصاً، كما هو الحال في الاجتماعات والمؤتمرات التي تضم حضوراً من يهمهم الأمر فقط. . . ولمدير الندوة أو المناظرة أو الحوار. . . مواصفات يجب أن يتمتع بها كسعة الثقافة ولا سيما في الموضوع المطروح للحوار، وأن يقوم بالتحضير والإعداد الجيد للموضوع والمكان والمتناظرين. . .

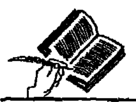
على أن ثمة من يعتبر أن المناظرة هي فن أدبي يعنى بتبيان مزايا وأوصاف وفوائد الشيء وضده، أو العكس كالليل والنهار والصيف والشتاء. . . لذا نفضل أن نعبر عن الحوار المشار إليه أعلاه بتعبير الندوة أو جلسة الحوار.

ـ الرسالة:

يعتبر أدب الرسائل من أقدم الفنون الأدبية. فهو فن يستخدمه الجمهور فيما بينهم، فهنالك مثلاً رسائل الأهل، ورسائل الأصدقاء إلى بعضهم، ثم رسائل العاشقين. وهنالك الرسائل الرسمية كالرسائل الحكومية وما شابه. وكانت الرسائل التي ترسل بالبريد منذ أقدم أشكاله سواء عن طريق الدواب أو الحمام الزاجل أو غيره... الوسيلة الوحيدة للاتصال بين الناس عن بعد. ورغم أن الرسائل لا زالت مهمة ولا سيما في النطاق الرسمي ونطاق الأعمال. إلا أن الوسائل قد تعددت في هذه المجالات فهنالك التلكس والفاكس والهاتف ثم شبكات الإنترنيت التي أخذ استخدامها يتسع يوماً عن يوم حتى في أقطارنا العربية. ولكل نوع من الرسائل أسلوبه الخاص به. فاللغة التي تستخدم في المجالات الرسمية تختلف عن تلك التي تستخدم في العلاقات التجارية. كما أنها تختلف عن الرسائل التي تعتمد المجاملة أو تكتنفها العواطف والمشاعر. إلا أن ثمة ما يدعى بالرسائل العلمية والتي تعنى بمعالجة موضوع ما فهي كالمقالة. وإنما سميت قديماً بالرسائل لأنها كانت ترسل من عالم إلى ملك أو أمير ممن كانوا يهتمون بالعلم والأدب والفنون، ويشجعون أصحابها ويشملونهم برعايتهم.

ـ الشعر:

وهو كلام ينظم على أوزان تدعى بحوراً، وقوافي موحدة غالباً للقصيدة الواحدة. على أن الشعر يعني أن الكلام المنظم هذا تكتنفه المشاعر، ويحلق به الخيال، وكثيراً ما يعتمد على الوحي واللإيماء



والمجاز في التعبير عما يريد. على أن الأسلوب الحديث في الشعر أصبح يبنى على التفعيلة الواحدة مهما طال البيت منه أو قصر، وعلى قواف قد تتغير في القصيدة الواحدة أكثر من مرة. أو يرسل إرسالاً دون التقيد بوزن أو قافية. إنما يكون للمشاعر والإيحاءات أهمية أكبر للتعبير عن المقصود. وكثيراً ما يستغرق شعراء الحداثة بالتغريب في المعاني والألفاظ. وتجدهم مولعون بالألغاز والمفردات والمعاني غير المفهومة... ومعظم شعراء الحداثة اتبعوا أسلوب الشاعر الغربي «أليوت». ومن أوائلهم بدر شاكر السياب من القطر العراقي، وأدونيس من القطر السوري، وجماعة «أبولو» في القطر المصري... وغيرهم كثير.

وعرف من الشعر ما دعي بالشعر الملحمي كما في الشعر اليوناني القديم. وقلما عرف الشعر مثله فهو يتميز بالطول مع وحدة الموضوع. بينما تميزت القصيدة العربية ولا سيما في العصور القديمة بتعدد المواضيع فهي غالباً ما تبدأ بالنسيب أي وصف المرأة ومفاتنها والتغزل بها. ثم يتعرض لموضوع أو أكثر. وعرف من فنون الشعر، شعر الفخر والحماسة والغزل والمدح والرثاء والهجاء والوصف...

على أن القصيدة الجيدة في أيامنا هذه سواء كانت عمودية أم محدثة الأسلوب، تتميز بوحدة الموضوع، وأن يتوفر لها حسن السبك، والمعاني، وحسن اختيار التعابير والألفاظ المناسبة في أغلب الأحيان. إضافة إلى الاعتماد على الإيحاء والإيماء والخيال في التعبير عن المقصود، دون الإغراق في التغريب والتعقيد والدخول في متاهات الألغاز والطلاسم.

ـ النقد الأدبي:

النقد الأدبي فن جديد على العرب، انتشر لديهم أثر اتصالهم بالحضارة العربية. وهو فن يهدف إلى تقويم الأعمال الأدبية والفنية من حيث اللغة والأسلوب... وممن اشتهروا بالنقد الأدبي الدكتور طه حسين وعباس محمود العقاد وغيرهما. وتنتمي الكتابة في هذا الفن إلى أسلوب الكتابة العلمية التي تبتعد عن التكلف والصور البلاغية والبيان، وتعتمد التعابير والمصطلحات الملائمة.

ويهتم النقد أيضاً بالمدارس الأدبية التي تنتمي إليها الأعمال المنشورة. كالواقعية والرومانسية والرمزية والواقعية الجديدة... إلخ. وذلك لتبيان مدى التزام الكاتب بقواعد وأصول هذه المدرسة أو تلك... كما يعنى بالمناسبة والموضوع وبالأفكار والمعاني. وبنقاط القوة ونقاط الضعف في الأسلوب والمعالجة للموضوع...



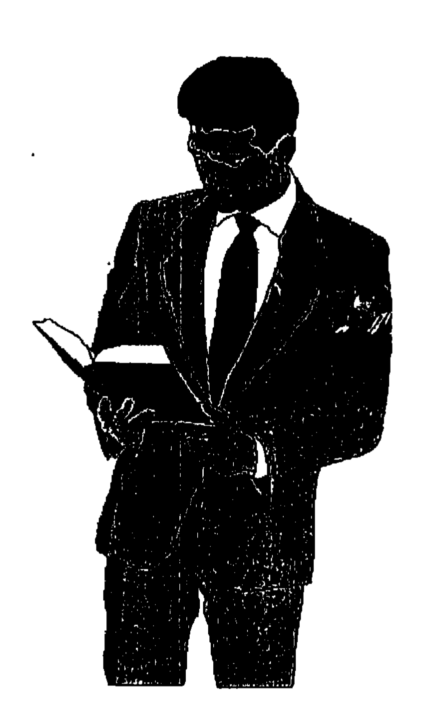


الفصل الثاني

التحضير للكتابة

- تمهيد
- التحضير الدائم
- استخدام التقنيات الحديثة







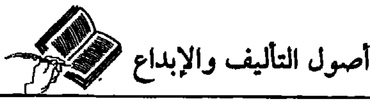
تمهيد

لكل عمل إذا ما أريد له النجاح، قواعد ووسائل واستعدادات لا بد من اتخاذها قبل البدء به. وفي موضوعنا هذا لا بد من العمل على التحضير الدائم، ويشمل التثقيف المستمر والحرص على الاحتفاظ بالكتب المرجعية... وهنالك التحضير الآتي ويتضمن بصورة خاصة ما يلي:

1 - تحديد الفن الذي نجد في أنفسنا القدرة على الكتابة فيه. ثم تحديد الموضوع الذي ننوي الكتابة عنه.

2 - وضع خطة البحث بصورة أولية. وهي عبارة عن التصور العام للموضوع، وأقسامه وعناصره الأساسية ثم الفرعية، وربما الثانوية... والتي توصلنا إلى النتيجة المرجوة من إعداد هذا البحث.

3 - محاولة وضع عناوين لكل جزء من الموضوع به الموضوع ككل. وبقدر الإمكان محاولة اختيار عناوين مستحدثة ما



أمكن، وبنفس الوقت تعبر عما يراد كتابته تحت هذا العنوان بشكل جيد.

4 - اختيار المراجع الملائمة للموضوع الرئيسي والمواضيع الفرعية ما أمكن، حتى ولو كان الكاتب على جانب كبير من المعرفة العلمية والعملية بالموضوع، ولديه القدرة على الكتابة ذاتياً. فالمراجع تعينه على ما يلي:

(أ) تذكيره ببعض الأفكار الضرورية والمفيدة لإغناء الموضوع.

(ب) تزويده ببعض المعلومات ذات الطابع العلمي والوثائقي التي تدعم وجهة نظره أثناء معالجته للموضوع.

(جـ) تمنحه الفرصة للاضطلاع على ما كتب من قبل في هذا الصدد أو ذاك، مما قد يغنيه عن الشرح الزائد لبعض الأمور التي يتوفر لها شرح واف في كتب أخرى، بينما يهتم بشرح أمور لا يجد لها القارىء شرحاً كافياً في مراجع وكتب منشورة.

(د) ذكر المراجع التي اعتمد عليها الكاتب في بحثه، يعطي للبحث موثوقية أكبر لدى القراء المعنيين. ولا سيما في الأمور ذات الصبغة العلمية.

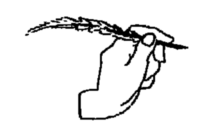
5 - تهيئة المناخ الملائم للكتابة من حيث أدوات الكتابة والمكان المريح من حيث الضوء والهدوء... علماً بأن ألوان الجدران

والأثاث قد يكون لها تأثير ما على مزاج الكاتب. . . إضافة إلى توفير بعض المشروبات التي تعود أن يتناولها. . . إلخ.

أما الوسائل المطلوبة لإعداد الموضوع للنشر فهي أمور مختلفة سنتناولها لاحقاً في الفصل الذي يختص بذلك الشأن.

وتعتمد الوسائل والمناخ المطلوبين على نوعية الكتابة المزمع الدخول بها. فالكتابة الأدبية تتطلب إلى جانب ما ذكر أعلاه المزاج الملائم. إلا أن أنواعاً أخرى من الكتابات قد لا يكون لها كل هذه المتطلبات. بل قد تتطلب الكتابة العلمية مناخات أخرى كالمختبرات أو ما شابه. . . حيث يتم كتابة بعض الأفكار والملاحظات. . . والتي يعاد صياغتها وإدخالها في سياقها المناسب في كتاب أو بحث خاص بذلك. بينما تتطلب الكتابات الرسمية الخبرة والاضطلاع، إضافة إلى موهبة الكتابة، وسلامة اللغة، اللتين لا بد أن يتوفرا بدرجة ما، لأي كاتب، وفي أي موضوع كان.

على أننا لا نقول بالمبالغة في مسألة توفر المناخ الملائم، ولا بإهماله. بل مراعاة كل حالة على حدة. كذلك الأمر في بقية الشروط، فلا بد أن تعطى كل حالة ما يتناسب معها من حيث حجم العمل وأهميته، ومستوى المتلقي أو المتلقين له، والدافع وراء الكتابة، أو الهدف، والنتائج المتوخاة منها. . .



التحضير الدائم

من يرغب باتخاذ الكتابة مهنة له، أو حتى ذلك الذي فرض عليه أن يعمل في الكتابة. أن يعمل على التحضير الدائم لعمله الذي قد يشمل:

1 ـ اقتناء الكتب والمراجع والمعاجم وربما الموسوعات التي لها ارتباط وثيق بمجال عمله ككاتب. فالتثقيف المستمر والمطالعة، أمور ذات أثر بالغ على تكوين ملكة الكتابة لديه. وتزويده بالألفاظ والتعابير الملائمة للموضوع المطروق. ويوفر له السلاسة والقدرة على بناء التراكيب المتماسكة. . .

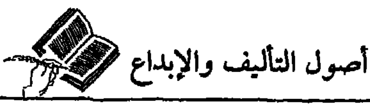
2 ـ التدريب المستمر على الكتابة. ولا مانع من التقليد في بداية الأمر. ولنا بأمير الشعراء أحمد شوقي خير أسوة في هذا الصدد. والذي بدأ مقلداً (نهج البردة معارضةً لبردة البوصيري. . .). وهكذا معظم الكتّاب، كل حسب مجاله، لا بد له من التدرب على النمط الذي يكتب في مجاله. حتى يستوي له الأمر ويصبح له الملكة التي تعينه على الإنتاج المبدع، واتخاذه الأسلوب الخاص به.

3 ـ اعتياد المطالعة: فإضافة لما ذكر آنفاً فإن اعتياد المطالعة في عصرنا هذا. عصر التلفاز والحاسوب. . . وعصر التعقيدات والازدحام في الطرقات. . . وعصر السرعة لضيق الوقت، الأمر الذي لا بد للمرء من حسن استخدامه على أحسن وجه. فإننا لا بد أن نكتشف أن الوقت المتاح لنا للمطالعة أقل مما نرغب به. فما العمل؟. لا بد لنا من حل مناسب. يعطينا الوقت الكافي لإشباع نهمنا إلى المطالعة دون أن يأخذ من الأوقات الضرورية للعمل، أو قضاء الحاجات اليومية، أو حتى الوفاء بالالتزامات الاجتماعية. وإليك الحل كما أراه وأمارسه شخصياً:

1 ـ لدي دائماً ما يقرأ من كتاب أو مجلة أو سواها في غرفة النوم. بحيث أمارس القراءة كلما سنحت لي الفرصة في غرفة النوم ولو للحظات. وقد أدخلها معي إلى الحمام (التواليت) إذا كانت فترة البقاء هنالك لعدة دقائق.

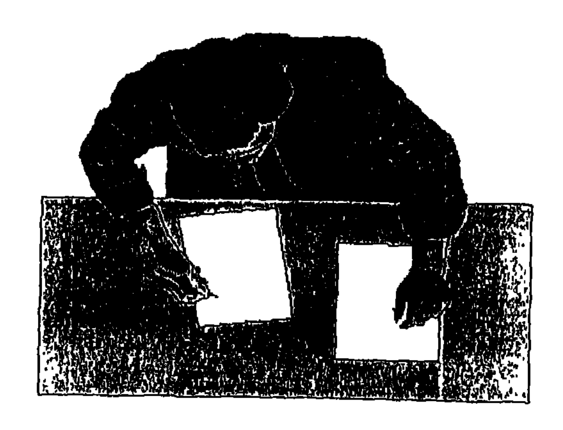
2 ـ لدي ما يقرأ في العمل (المكتب)، أقرأ فيه كلما وجدت الوقت المناسب والذي لا يؤثر على العمل بأي شكل كان. ومهما كان الوقت المتاح ضئيلاً. وهنالك كثير من الأعمال يتاح فيها مثل هذا الوقت. . .

3 ـ لدي ما يقرأ أيضاً في السيارة. وكثيراً ما يحدث توقف في المرور. أو أن يحدث أن الأمر الذي أنا ذاهب



لقضائه يتطلب انتظاراً لوقت ما. فما المانع أن أقضي مثل هذا الوقت في المطالعة كأمر مفيد، ولا يزعج أحداً، ويشغلني عن الانتظار الذي كثيراً ما يثير الانزعاج والضجر والعصبية كلما طال.

ولا أعتقد أن الأمر من الصعوبة بمكان. بل إنني أعرف كثيراً من المثقفين يقضون أوقاتهم للأسف في المقاهي والسهرات بقصد اللهو الذي لا طائل وراءه. بدلاً من قضائه بالقراءة. وهذا ما يميز أبناء المجتمعات المتقدمة الذين لا تجد أحدهم يجلس في حافلة أو حديقة أو سواها إلا ومعه ما يقرأ به. وهو أحد أسباب التقدم. فالمطالعة أخت الاضطلاع، والاضطلاع يعني الوعي واتساع المعرفة...





استخدام التقنيات الحديثة

أصبح استخدام التقنيات الحديثة كأجهزة الحاسوب وما شابه من الأنظمة الحديثة، أمراً لا مفر منه. فانتشار هذه التقنيات والمعرفة بها أصبح سمة العصر، في معظم أنحاء العالم، وليس المتقدم فقط. ولعلنا أصبحنا بحاجة ماسة للتكيف مع مسألة استخدام هذه الأنظمة التي يسرت أموراً كثيرة. من ذلك يمكننا ذكر مسائل كنقل المعلومات وحفظها ومعالجتها ثم استرجاعها عند اللزوم. وإذا كنا نتحدث هنا عن الكتابة. فلنوضح كيف يمكن استخدام هذه الأنظمة في خدمة الكتابة.

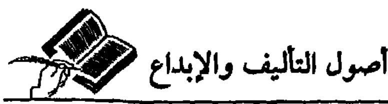
يقتضي التحضير للكتابة باستخدام نظام الحاسوب ما يلي:

1 - اختيار الجهاز المناسب لمتطلبات العمل الذي نريد.

2 - اختيار البرنامج المناسب للاستخدام المطلوب.

3 - التدرب على استخدام النظام بشكل عام ولا سيما البرامج التشغيلية، ثم البرنامج الخاص بالكتابة.

ورغم أن معظم أنظمة الحاسوب الحديثة تتوفر لها البرامج الملائمة للكتابة أياً كان نوعها. إلا أن ثمة اختلافات في بعض المزايا التي يقدمها



كل منها. والتي على المستخدم لها أن ينظر ما يلائم عمله، ويوفي بمتطلباته منها. وأن يوازن بين هذه المزايا، وأن يختار الأفضل بينها. من النواحي الفنية، والعملية وكذلك من ناحية التكلفة والعائد. فمتطلبات عمل الكاتب، لا شك مختلفة عن متطلبات عمل الناشر، أو عمل رجل الأعمال. . . فلكل من هذه الأعمال خصائصها ومتطلباتها التي على كل مستخدم لأنظمة الحاسوب أن يعمل على الإيفاء بها، عند اتخاذه القرار باقتناء الجهاز أو البرنامج الذي يحتاجه. وعند اختياره بين البدائل المتاحة أمامه.

التحضير في هذه الحالة لا تقتصر على الأجهزة والبرامج، وإنما بالتدريب والتأهيل اللازم أيضاً. وهو ما أصبح متوفراً بصورة جيدة نسبياً في مجتمعنا العربي. رغم الحاجة إلى مزيد من الاهتمام، والدعم من قبل الدولة. والضرورية لتفادي بعض نواحي القصور في هذا الصدد.

ومثل ذلك يمكن أن يقال في اقتناء واستخدام أنظمة الاتصالات الحديثة. لما في ذلك من دعم للثقافة والاضطلاع والتواصل مع العالم، لنعيش عصرنا بكل ما يتيحه من وسائل، وأفكار، وعلوم وفنون وآداب. وأبحاث مستجدة في شتى نواحي الحياة.

أما الكتابة على أنظمة الحاسوب فلها خصوصية مختلفة عن الكتابة على الورق. إن معظم البرامج الخاصة بالكتابة على الحاسوب تتيح مزايا نعدد أهمها:

1 ـ ظهور ما يكتب على الشاشة أمام المستخدم مباشرة. مما يتيح له التصحيح والتعديل وما شابه.

2 ـ إمكانيات خاصة بالحرف: تكبير وتصغير وتغميق وتفتيح . . . وتغيير نمط الحرف كالحرف الكوفي والحرف النسخي . . . كما يمكن إدخال الأحرف اللاتينية (أي الكتابة بالإنكليزية مثلاً) ضمن النص العربي أو بالعكس. وغني عن الذكر أن للمستخدم أن يكتب أساساً بأي من اللغتين. مع إمكانية الخفض والرفع.

3 ـ إمكانيات التسطير والتمييل: فيمكن للكاتب وضع خط تحت بعض العناوين مثلاً . . . كما يمكن تمييل الأحرف للكلمات أو الجمل التي يرغب بتمييلها الكاتب تمييزاً لها عن غيرهافي النص. وكذلك إلغاء التسطير والتمييل حسبما يرغب المستخدم.

4 ـ إمكانية الانتقال خلال الصفحة أو الصفحات. وإمكانيات الفصل بين الصفحات وترقيمها . . .

5 ـ إمكانية تشكيل الصفحة من حيث الهوامش الجانبية والعليا والسفلى أو المسافات بين الأسطر. مع ضبط النصوص بحيث يكون جانبها الأيسر أو الأيمن أو كليهما مستوياً . . .

6 ـ إمكانيات الطباعة: وغني عن الذكر أن طباعة أي مستند أو رسالة . . . لا بد أن يتوفر لها طابعة من نوع ما، وأن يتم تحضير الطابعة عن طريق البرنامج بإدخال اسم ونوع الطابعة. علماً بأن معظم برامج الطباعة تحتوي على قائمة بأسماء وأنواع الطابعات لإدخال المعلومات الخاصة بالطابعة عن

طريق تحريك المؤشر الضوئي إلى السطر الذي ورد فيه اسم طابعتنا المربوطة مع جهازنا. مع الإشارة إلى أن هذا الأمر يتم لمرة واحدة في بداية وصل الطابعة مع الجهاز، أو في حال تبديل الطابعة بأخرى. ولن ندخل هنا بأنواع الطابعات وما شاكل فهذه أمور ـ كما هو الحال مع الأجهزة والبرامج ـ تحتاج إلى بحث آخر.

على أننا لا بد لنا أن نتأكد من ملاءمة ما نستخدمه لاحتياجاتنا العملية. وأن نعمل على استيعاب إمكانياته المتاحة بشكل تام، والتدرب على استخدامه إلى الحد الذي يؤمن لنا السرعة والدقة وتوفير الجهد والوقت والتكلفة إلى أدنى حد ممكن.

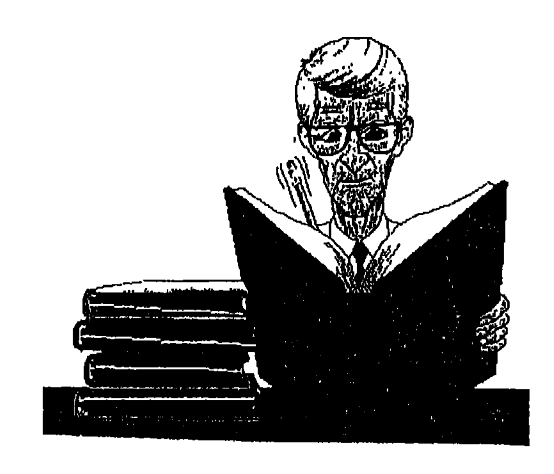
كما أن من المفيد أن نذكر أهمية الوسائل الحديثة الأخرى التي تساعد على سرعة توصيل المعلومات، ولا سيما في الأعمال التجارية، ومراكز البحث العلمي، وفي دور النشر... وتهيء تقنيات الاتصالات الحديثة الأنظمة التي تؤمن كل ذلك. ومعروف أن انتشار «نظام الإنترنيت» العالمي، وانتشار المعارف التقنية، يوفر تبادل المعلومات بين جميع المشتركين في شتى أنحاء العالم بتكاليف محدودة، مقارنة بالفوائد الجمة التي يحصل عليها المشتركون، من مختلف الفئات والشرائح.

وواضح كم أصبح التأهيل والتدريب على استخدام هذه التقنيات من أهمية بالنسبة للباحث والكاتب. حيث يمكنه أن يحصل على مجموعات هائلة من المعارف التخصصية، والمرجعية. مما يستطيع أن يغني بحثه به. ناهيك عن توسيع ثقافته بصورة غير محدودة.

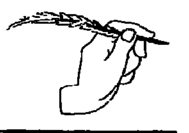
الفصل الثالث

كيف ندرب أنفسنا على الكتابة

- كيف تكتب
- أسلوب الكتابة
- البداية
- الاستمرار والتقدم
- التعامل مع النقد
- تعلّم اللغة







كيف ندرب أنفسنا على الكتابة

كيف تكتب؟

من خلال الفصل الأول عرفنا ألوان وفنون الكتابة وما يتسم به كل منها. لذا فالكتابة في الأدب أو الشعر تختلف عن الكتابة في البحُوث العلمية والمقالات والمحاضرات وعنها في الخطب أو الندوات... إن أول نصيحة يمكن أن تعطى لمن يحاول الكتابة لأول مرة هي أن يكثر من القراءة والمطالعة بشكل عام، وفي المواضيع التي يهتم بها ويجد في نفسه الرغبة على الكتابة بها بشكل خاص. والمطالعة المتأنية التي تسمح باستيعاب وتمثل المعاني والألفاظ والتعابير والأسلوب من الأمور المساعدة على تكوين ملكة الكتابة لدى المطالع الدؤوب.

أما عملية الكتابة فتحتاج إلى التفكير الواعي قبل البدء بالكتابة فيما نود كتابته. فبالإضافة إلى تطبيق القواعد المشار إليها في التمهيد آنفاً. يجب الاهتمام أيضاً بما يلي ولا سيما عند تأليف كتاب أو ما شابه:

1 - تقسيم البحث (موضوع الكتاب أو المقالة أو المحاضرة) إلى

أبواب رئيسية ثم إلى فصول فرعية. ثم يقسم كل فصل إلى مقاطع يختص كل منها بفكرة محددة. أما الجمل والتراكيب فيفضل أن تكون مترابطة ومفهومة بكل بساطة وملائمة للموضوع.

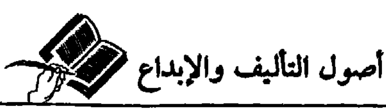
2 ـ الاهتمام بأصول الكتابة وهي: اللغة، وقواعد الإملاء، والنحو، والصرف، والبيان والصور البلاغية في الكتابة الأدبية. والاهتمام بالتعابير والمصطلحات الخاصة في الكتابة العلمية، وبالسهولة وعدم التعقيد بصورة عامة. إضافة إلى الاهتمام بعلامات الترقيم أو التنقيط. من نقطة وفاصلة وعلامات التعجب والاستفهام... وهي كثيرة ولكل منها دور في تقسيم الكتابة وترتيبها بالشكل الملائم. مع استخدام المعاجم كلما لزم الأمر.

جدول علامات الترقيم في اللغة

العلامة	موقعها	حالاتها
الفاصلة (،)	بين عبارتين تامتين ـ مع العطف والبدل . . .	وجود ترابط لفظي ومعنوي
الفاصلة المنقوطة (؛)	بين عبارتين تامتين	وجود ترابط في المعنى فقط
النقطة (.)	نهاية الجملة التامة ـ ختام الفقرة.	انتهاء الكلام
علامة القول (:)	بعد قال وما في معناها	لتحديد ما يقال ومعناه
علامة الحذف (. . .)	عند الرغبة بالاختصار	لدلالة على النقص
علامة الاستفهام (؟)	بعد السؤال	
علامة التعجب (!)	بعد التعجب	وقد تأتي بعد الاستفهام عن أمر مستغرب.
علامة التنصيص « »	في أول وآخر النص المقتبس	عند الاقتباس أو ما شابه
علامة البدل (ـ ـ)	الجملة المعترضة	لفصلها عن النص الأصلي
علامة الحصر ( )	في أول وآخر الكلام	التفسير ـ الاستدراك . . .
علامة التابعية (= =)	في الحاشية عند امتلاء الصفحة الأولى	للرمز إلى التتابع في الصفحة التالية

أسلوب الكتابة

للأسلوب تعاريف كثيرة اختلفت باختلاف مطلقيها من الباحثين. إلا أننا يمكن أن نختصر ذلك كله بتعريف الأسلوب بأنه طريقة الكتابة التي يختار الكاتب بموجبها الألفاظ والتراكيب والتعابير والصور والمؤثرات الملائمة للموضوع، والتي تعكس المعاني والآثار التي أراد الكاتب أن يوصلها إلى القارىء، كما أحسها وتصورها وهو يكتب ما يكتب.



ويختلف الأسلوب باختلاف الفن الذي يتبع له. فأسلوب الكتابة الأدبية يختلف عن أسلوب الكتابة العلمية. كما أن اختلاف الأسلوب يحدث خلال الكتابة الأدبية فيما إذا كانت الكتابة في مجال القصة أو المسرحية أو في مجال الشعر... إلخ وحتى في مجال الشعر قد يختلف الأسلوب في مجال الفخر عنه في مجال المدح أو الغزل أو الرثاء... وكذلك من خلال الكتابة العلمية، من حيث الكتابة في مجال العلوم البحتة أو العلوم الطبيعية أو الإنسانية... وما إذا كان الكاتب بصدد إعداد بحث أو محاضرة أو مقالة... إلخ.

واختلاف الأسلوب في الكتابة يمكن أن يحصل بين عصر وآخر، وبين موقف وآخر أو بين متلق وآخر... إلخ. فقراءة كتاب من العصر الجاهلي يختلف في أسلوبه عن نص من العصر العباسي، وعن نص في العصر الحديث...

ويعتبر الأسلوب الطابع المميز لعصر ما، ولمدرسة ما في الكتابة بقدر ما يعتبر البصمة المميزة للكاتب نفسه. فلكل كاتب أسلوبه في اختيار المفردات والتعابير والتراكيب وأسلوبه في السبك وطرح المعاني التي يريدها. فهنالك من يلجأ إلى الألفاظ المباشرة التي تعطي المعنى بدقة وهو أسلوب الكتابة العلمية غالباً. في حين نجد كاتباً يلجأ إلى المجاز والتمثيل والإيحاء وهو أسلوب الكتابة الأدبية والشعرية غالباً... هنالك من يهتم بالصنعة والبديع... والكتّاب بين هذا وذاك يختلفون اختلاف الفاكهة طعماً وشكلاً. إلا أنهم جميعاً يتميزون بالنكهة واللون والرائحة المميزة الطيبة.

ويتشكل أسلوب الكاتب المميز من خلال مطالعاته وثقافته واضطلاعه. إضافة إلي صفاته الشخصية والنفسية. وأخيراً بيئته التي ينتمي إليها. وتجاربه وممارسته التي تعمل على تطوير وصقل أسلوبه باستمرار.

ويمكن التركيز على الخلافات الأساسية بين الأسلوب العلمي والأسلوب الأدبي رغم صعوبة حصرها وأهمها:

1 ـ امتزاج الأفكار والحقائق بالمشاعر والعواطف في الكتابة الأدبية. بينما تتميز الكتابة العلمية بالعقلانية والتركيز على الحقائق العلمية.

2 ـ تتسم العبارة الأدبية بالتفخيم والتعميم والوقوف على مواطن الجمال والتأثير. بينما تتسم العبارة العلمية بالدقة والتحديد.

3 ـ تعتمد اللغة العلمية على المصطلحات المحددة والأرقام الرياضية والأوصاف الهندسية... بينما تعتمد اللغة الأدبية على الصور الخيالية والصنعة البديعية والإيحاء...

4 ـ تتميز عبارة الأسلوب العلمي بالسهولة والوضوح والتجريد. بينما تعتمد عبارة الأسلوب الأدبي بالرقة والجزالة والقوة والحيوية في التركيب وفقاً للموضوع.

5 ـ يمتاز الأسلوب العلمي بتتابع الأفكار بصورة منطقية دون تكرار. بينما في الأسلوب الأدبي يسمح بتكرار الفكرة بصور وعبارات متنوعة بقصد زيادة التأثير والإمتاع.

وغير ذلك كثير...

البداية

قد تكون البداية خجولة ومترددة. فمن يهوى الكتابة في الأدب، شعراً أم نثراً، يحاول في البدء أن يعبر عما يجيش بنفسه من مشاعر وأحاسيس وعواطف وانفعالات. فيكتب ويمزق، ثم يكتب ويعيد القراءة لما كتب فإذا به لا يجده معبراً تماماً عما يريد التعبير عنه. وهكذا يعود من جديد... ولا يزال كذلك حتى تستقيم عباراته وألفاظه. وتتلاءم مع المعاني والأفكار والعواطف والتخيلات التي يعيشها عندما تستبد به الرغبة بالكتابة.

وعندما يشعر بسلامة كتابته إلى حد مقنع. يبدأ باطلاع زملائه على ما يكتب. وينتظر ردود فعلهم بشغف ولهفة واضحة. فإذا وجد منهم نوعاً من التشجيع، حتى لو ترافق ببعض النقد المقبول لديه. كان ذلك حافزاً له للاستمرار في الكتابة. وكلما كان النقد المرافق للتشجيع موضوعياً ونابع عن رغبة بتهذيب العمل، كلما كان حافزاً على التحسين والتقدم في الكتابة. أما إذا كان النقد مقذعاً ومن النوع المهدم والمثبط، كان الأثر سلبياً، سيما إذا جاء من أكثر من مصدر.

فإذا استمر الكاتب الناشيء في العمل والتقدم والتطور... نتيجة الدافع الداخلي لديه أولاً، ثم التشجيع والنقد الإيجابي ثانياً... يكون قد دخل مرحلة جديدة، وهي عرض كتاباته التي يراها ناجحة على بعض المتخصصين أو المتمرسين في الأدب... وهنا سوف يكون الحكم أكثر تحديداً ودقة... والنقد حقيقياً. والتشجيع كذلك، فلا مجال هنا للمجاملة. فإذا أجيزت أعماله من هؤلاء حتى لو تم ذلك بعد فترة من

التطوير والتصويب المقترح. . . يكون صاحبنا قد دخل مرحلة الكاتب الحقيقي الذي من حقه أن ينشر كتاباته على الملأ. وهذه مسألة أخرى تتعلق بظروف النشر وتجاوب الناشرين، ومسألة التمويل. . .

وكلما انتشرت أعمال الكاتب ولاقت رواجاً لدى جماعة القراء. واستحساناً في الأوساط الأدبية. . . كلما ارتفع اسمه عالياً في عالم الكتابة، وأصبح من المشاهير والكتّاب الأعلام.

وغني عن القول أن جميع الكتاب لا بد أن يمروا بمثل هذه المراحل أو معظمها. ولعل هذا الأمر ليس جديداً، فما هو مشهور عن الشاعر الجاهلي العظيم زهير بن أبي سلمى، أنه كان ينظم القصيدة في عام، يعرضها خلاله على أقرب أصدقائه، ثم على دائرة أوسع ويظل يقوم ويصوب ويهذب فيها طيلة عام كامل، لذا سميت قصائده بالحوليات. هذا وهو الشاعر المشهود له، فهو واحد من الشعراء المعروفين بأصحاب المعلقات، وهو الجاهلي الذي يتحدث العربية الفصحى التي اكتسبها منذ نعومة أظفاره من بيئته العربية القحة. دون حاجة لأن يتعلم ألفاظها وتراكيبها وقواعدها أو بحورها وقوافيها، أو بيانها. . . في الكتب أو على يد مدرسين، كما هو حال شعرائنا أو كتّابنا في هذه الأيام. ولعلنا نجد عذراً لمن يتصدى للكتابة اليوم، إذا شابت كتاباته بعض الأخطاء أو الضعف أو ما شابه، ولا سيما الأخطاء الشائعة. . . خاصة إذا كانت الكتابة في غير المجالات الأدبية، كالمقالات العلمية أو سواها. . .

الاستمرار في التقدم

إن استمرار الكاتب بالكتابة والتقدم المرغوب به، أمر له متطلباته



أيضاً. فليس وصول الكاتب إلى النجاح هو نهاية المطاف، بل ربما هو البداية الحقيقية التي تتطلب منه زيادة الحرص، ومتابعة القراءة واكتساب الثقافة والمعرفة، العامة والخاصة. فالنجاح يعني أن الكاتب أصبح تحت الضوء كما يقال. وأصبحت أعماله تحت مجهر النقد الذي لا مجال معه للمجاملة أو التغاضي. الأمر الذي قد يؤدي ببعض الكتّاب إلى الإقلال من كمية أعمالهم، مقابل السعي لجعل أعمالهم أعلى مستوى، وأكثر إبداعاً مما كانت عليه في المرحلة السابقة. وهو ما يمكن أن يضمن للكاتب استمرار الصعود، أو على الأقل الاحتفاظ بموقعه بين أقرانه، واحترام القراء والنقاد له.

التعامل مع النقد

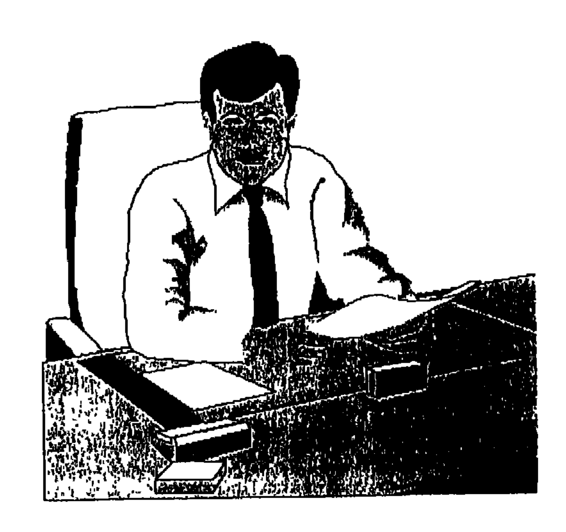
لا يكاد كاتب يسلم من النقد لأعماله. وكلما ارتفع اسم الكاتب كلما كان أكثر تعرضاً للنقد. ويجد بعضهم مسألة التعامل مع النقد أمراً معقداً وشديد الصعوبة. مما يجعلهم لا يتقبلون أي إشارة من هذا القبيل. فتراهم ينفعلون وتأتي بالتالي ردودهم عنيفة تتسم بالعصبية... وهذا الأمر يعتمد على طبيعة الكاتب وشخصيته، ونوع النقد الموجه إليه وأسلوبه... إلخ. بينما تجد آخرين يتعاملون مع النقد مهما كان قاسياً بأسلوب أكثر حصافة. والواقع أن للنقد فائدتان هما:

الفائدة الأولى: أن يكون النقد صحيحاً وفي محله. فالكاتب قد يقع خلال كتابته ببعض الهفوات، والهنات لسبب أو لآخر، سواء في الموضوع أو في الأسلوب وطريقة العرض، أو ببعض الأخطاء الشائعة... أو غير ذلك. وبذلك يكون للنقد فضل التنبيه إلى موطن

الضعف أو النقص أو الخطأ. ويكون على الكاتب أن يعترف بذلك بكل شجاعة. وأن يصحح الخطأ، ويستفيد من ذلك في الأعمال القادمة.

الفائدة الثانية: أن يكون النقد في غير محله، وأن يكون الناقد واهماً. الأمر الذي يتيح للكاتب أن يرد، موضحاً اللبس، مزيلاً الوهم. وفي ذلك فضل كبير للنقد أيضاً.

ونعود هنا لنؤكد أن التشجيع الذي تلقاه أعمال الكاتب من أهم العوامل التي تعينه على الاستمرار في الكتابة. بينما يكون للنقد البناء البعيد عن التهديم والتجريح والقذف، أكبر الأثر في تقويم أعمال الكاتب. ويشكل كلا العاملين سبباً مهماً للإبداع، والتقدم، والارتقاء في أعمال الكاتب، ورفع اسمه بين الكتّاب.



تعلّم اللغة

يظن كثير من الناس أن اكتساب اللغة لا يتطلب بحوثاً ونظريات. فالطفل مثلاً يتمكن من اكتساب لغة قومه بكل بساطة رغم أنه يمر بمراحل يكون خلال كل منها في حالة استنباط لقواعد خاصة به. . . إلى أن يتقن اللغة كما يتحدثها قومه. دون عناء ودون حاجة إلى نظريات في تعليم اللغة. رغم أنه بعد ذلك يبدأ بالتعرف على قواعد اللغة ومختلف جوانبها النحوية، والصرفية، الإعرابية، وتعلّم الكتابة، والقراءة. . .

إلا أن مسألة تعلم اللغات الأجنبية مسألة أخرى. وسنفرد للترجمة ومشاكلها فصلاً خاصاً لأهميتها غير العادية ودورها التثقيفي والتواصلي بين المجتمعات. وأهميتها في مراحل النهوض الأولى للمجتمعات المتأخرة حضارياً عن غيرها، كما هو حالنا اليوم.

ورغم أن لدينا في العربية علوم لغوية تبحث في مختلف المسائل والمواضيع اللغوية تم التعرف عليها في الفصل المتعلق بذلك في هذا الكتاب. إلا أنه في الغرب ظهرت حاجة إلى إعادة النظر بالقواعد التقليدية التي تم نقلها كما هي إلى اللغات التي استقلت عنها دون النظر إلى

التحولات التي تمت في هذه اللغات الجديدة. مما جعل نفر من اللغويين الغربيين يثورون على المدرسة التقليدية واستحداث نظرية دعيت بالمدرسة البنيوية، والتي اهتمت ببنية اللغة كما تستخدم فعلاً واعتمدت في تعليم اللغة على الأسلوب السمعي والبصري. ولكنها قصرت أبحاثها على البنية الشكلية دون الاهتمام بمسألة المعاني والدلالات اللغوية. مما هيأ لظهور المدرسة التوليدية والتحويلية التي اعتمدت الطريقة التواصلية في تعليم اللغة. وحاولت إيجاد الوسيلة التي يمكن عن طريقها استنباط الأشكال والصيغ اللغوية التي تستخدم أو يمكن أن تستخدم في جميع نواحي الحياة. كما عملت على أن يكون بمقدور هذا الأسلوب تفسير الجمل الصحيحة، ورفض الجمل غير الصحيحة. ونظروا إلى النظام اللغوي في كل من البنى التحتية والبنى السطحية للجمل.

ورغم أن لدينا في اللغة العربية علوماً لغوية وافية من علم النحو، وعلم الصرف، وعلم المعاني، وعلم البلاغة، وعلم العروض، وعلم القوافي، وقواعد الإعراب... إلا أن بعضهم حاول تبسيط بعض هذه القواعد والأصول. كما ظهرت دعوات للكتابة باللهجات المحلية غير الفصحى... إلا أن كل هذه الدعوات لم تجد لها مكاناً بين اللغوين أو الكتّاب من أدباء ومفكرين وباحثين. ولسنا هنا لندافع عن نظرية أو ندحض أخرى. إنما رأينا عرض ما هو قائم. ونترك للقارىء الكريم أن يجد طريقه الذي يراه مناسباً لما يجد في نفسه رغبة في الوصول إليه، دون أن نحاول التأثير عليه بأي شكل من الأشكال.



الفصل الرابع

الكتابة المهنية

- تمهيد
- سمات خصائص الكتابات المهنية
- أنواع الكتابات المهنية
- أشكال ومواضيع





الكتابة المهنية

نعني بالكتابة المهنية الكتابة الرسمية في أجهزة الدول والأجهزة شبه الحكومية كالمنظمات الشعبية والنقابية، والجمعيات التعاونية بأنواعها. . . كما يشمل التعبير الكتابة في مجال الأعمال من صناعية وزراعية وتجارية وخدمية. . . إلخ.

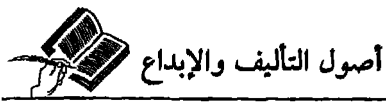
وحيث إن لكل من هذه المجالات نمطها الخاص، وأسلوبها المتميز عن غيره من الكتابات كان لا بد لنا من التنويه عنها وإعطاء نماذج عن كل منها بما يساعد على تيسير الكتابة في هذه المجالات على من يهمهم الأمر.

سمات وخصائص الكتابات المهنية

من أهم الخصائص التي تتسم بها هذه الكتابات بشكل عام ما يلي:

1 ـ توخي البساطة في طرح الأفكار والمعلومات دون تكلف أو صنعة.

2 ـ الدقة والوضوح في بيان المقصود.



3 ـ استخدام ألفاظ ومصطلحات خاصة بكل مجال من هذه المجالات.

4 ـ الاختصار في المقدمات والخواتيم، والتعاطي مع الموضوع بصورة مباشرة.

5 ـ الاهتمام بذكر التواريخ والأرقام المرجعية، وممن، ولمن توجه.

6 ـ مسك السجلات والقيود لها لتدوين ملخص عن المعلومات الواردة فيها ومرجعيتها. . .

7 ـ فتح ملفات لحفظ صور أو نسخ الرسائل والوثائق المرفقة بها.

أنواع الكتابات المهنية

تتنوع الكتابات المهنية بصورة واسعة. ولكنها يمكن أن تتجمع في عدد من المجموعات أهمها:

1 ـ الأنظمة واللوائح والتعليمات.

2 ـ الرسائل.

3 ـ التقارير ومحاضر الاجتماعات والمذكرات.

وفيما يلي شرح موجز عن كل من المجموعايت المشار إليها أعلاه. كما يلي:

1 ـ الأنظمة واللوائح والتعليمات:

تعتبر لغة هذه المجموعة غالباً هي اللغة القانونية. ولكن الأمر قد

يتخلله بعض المصطلحات والعبارات الفنية التي تتعلق بطبيعة العمل الذي تحكمه هذه الأنظمة أو تلك اللوائح أو التعليمات، ونقصد بالتعليمات هنا التعليمات الدائمة، وليس التعليمات اليومية التي يمكن أن تدخل في مجموعة الرسائل، حيث من سماتها التغير بتغير الظروف والأحوال. ولكن لا يمنع أن تكتب هذه الأنظمة أو التعليمات بلغة سليمة وواضحة.

وتتميز لغة هذه المجموعة غالباً بما تتميز به الكتابات العلمية كالاختصار والدقة، والتعامل المباشر مع الموضوع واستخدام التعابير والمصطلحات القانونية والفنية... إلخ. أما الأسلوب فيتسم بالجفاف، وخلوه من الصور والمحسنات البديعية والمؤثرات العاطفية وما شابه. ولكن لا يمنع من تضمنه بعض العبارات التي تخاطب الوجدان الوطني لدى المتلقي. وكثيراً ما تجد عبارات بالحزم من أمثال:

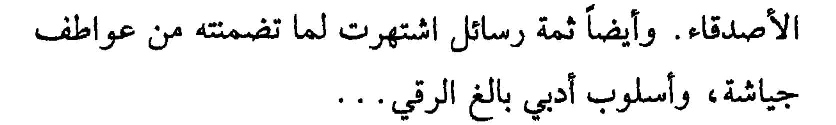
«يترتب على...، يطلب من...، كل من...، فعليه أن...، يطبق في مجال...، الشروط التالية:...، يحظر على...، يسمح لـ...، يستثنى من...، ... إلخ».

وينسحب ما ذكر أعلاه على الأنظمة واللوائح والتعليمات الحكومية، وغير الحكومية، من شركات وجمعيات... إلخ.

2 ـ الرسائل:

وتشمل الرسائل الأنواع التالية غالباً:

1 ـ **رسائل عاطفية**: وهي تلك التي يكتبها العاشقون والتي اشتهر بعضها قديماً. ورسائل الأهل فيما بينهم. ثم رسائل



الأصدقاء. وأيضاً ثمة رسائل اشتهرت لما تضمنته من عواطف جياشة، وأسلوب أدبي بالغ الرقي. . .

2 - **رسائل شخصية**: كطلبات العمل التي يتقدم بها طالبي الوظائف إلى المكاتب المختصة في الإدارات والهيئات والمؤسسات الحكومية أو غير الحكومية كالشركات والجمعيات. . . إلخ. وكذلك الطلبات الخاصة بالترقيات والنقل وما شابه. وهنالك الرسائل التي تستجيب لبعض المسابقات المنشورة في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة. أو تلك العرائض التي تكتب للشكوى أو إقامة الدعاوى في المحاكم أو الرد عليها. . . أو لأي شأن شخصي أخر. وهي بشكل عام رسائل تتضمن معلومات عن الشخص المتقدم (الكاتب للرسالة) كالاسم الكامل والوظيفة وربما مكان وتاريخ الولادة، ومكان الإقامة. . . والموضوع الذي يتم شرحه باختصار ووضوح مناسبين. ثم خاتمة تلخص المطلوب. كما يمكن أن تتضمن التحية في البداية والشكر في النهاية. والتوقيع والتاريخ.

3 - **رسائل الأعمال**: وهي الرسائل التي يتبادلها رجال الأعمال فيما بينهم. ولهذه الرسائل مواضيع مختلفة منها مثلاً:

(أ) مواضيع المجاملات والتعريف بالمنشأة وأعمالها. . . وقد تأخذ شكل رسائل عادية. وقد تأخذ شكل كتيبات تتضمن معلومات وصور وجداول ورسوم بيانية

«بروشور». . . أو رسائل إعلانية تنشر في وسائل الإعلام المختلفة بقصد الدعاية لمنتجات المنشأة. . . أو غير ذلك.

(ب) مواضيع الطلبات والبيع والشراء وما يتعلق بذلك، من مستندات استلام وتسليم ورسائل الاعتمادات المستندية ووثائق الشحن والنقل. . .

(جـ) المطالبات بالتسديد، ورسائل إبراء الذمة، والإيصالات والأوراق والوثائق والمستندات المتعلقة بالدين والتسديد كالكمبيالات وسندات الأمر والشيكات والحوالات. . . إلخ.

(د) مستندات وأوامر القبض والدفع النقدي، والكشوف وموازين المراجعة والميزانيات النقدية والتقديرية وصور الحسابات والقوائم المالية (الميزانيات) الختامية.

(هـ) التقارير والمذكرات ومحاضر الاجتماعات، ومنها تقارير الموظفين لرؤسائهم وتقارير مجلس الإدارة عن أوضاع المنشأة المقدم إلى الهيئة العامة. وتقارير المحاسبين القانونيين. . . أما المذكرات فهي كالمذكرات التي تقدمها السكرتيرات إلى مدرائها حول المتصلين بهم في غيابهم. أو المقدمة من موظف لرئيسه حول مسألة ما. أو ما شابه. وسيتم شرح ذلك لاحقاً.

(و) رسائل على شكل تعليمات لمستخدمي الأجهزة والأدوات والآلات... تشرح كيفية الاستخدام، أو التركيب أو ما شابه...

4 - **الرسائل العلمية**: وهي غالباً ما تتضمن أبحاثاً ودراسات في أحد المجالات العلمية أو الأدبية أو الفنية... منها ما يكتب لعامة القراء المهتمين بهذا الجانب أو ذاك. ومنها ما يملى من قبل أساتذة االجامعات على طلابهم في مجال تخصصهم. ومنها ما يقدم إلى الجامعات من قبل طلاب الدراسات العليا، من أجل نيل الشهادات العالية في تخصص ما (كالماجستير والدكتوراه).

5 - رسائل متنوعة المجالات والأشكال...

أشكال ومواضيع

للرسائل كما بينا أشكالاً قد تتفق وقد تختلف تبعاً لمواضيعها وطبيعتها وطرفيها «المرسل، والمتلقي» وربما وسيلة نقلها. ففيما عدا الرسائل العلمية التي تتخذ شكل الكتب أو الكتيبات. والرسائل التي تتضمن معلومات عن الآلات والمعدات والأجهزة وكيفية التركيب والاستخدام... أو تلك التي تتخذ شكل رسائل إعلانية ودعائية. فإن بقية الأنواع من رسائل عاطفية أو شخصية أو تجارية، قد يكون لها نفس الشكل، مع بعض التغيير الملائم لموضوع وطبيعة الرسالة.

وهذه الأنواع من الرسائل غالباً ما تتخذ الشكل الذي يتضمن المعلومات التالية:

1 ـ العنوان: في الرسائل الشخصية والعاطفية قد لا يكون عنوان المرسل مبيناً في أعلى الرسالة كما هو الحال في الرسائل التجارية. بل ربما كتب في أسفلها.

أما الرسائل ذات الطابع الرسمي ولا سيما تلك الصادرة عن الأجهزة الحكومية أو عن منشآت الأعمال، فإنها عادة ما تكتب على ورق رسمي يتضن اسم وعنوان الجهة المصدرة للرسالة وعنوانها وربما أكثر من ذلك (كرأسمال الشركة...). ويتضمن العنوان غالباً اسم البلد والمدينة والشارع والمبنى والطابق ورقم المكتب (الشقة). إضافة إلى رقم صندوق البريد. وهنالك ما يدعى بالرمز البريدي المستخدم في كثير من الدول، والذي يتبع نظام الترقيم العشري لمناطق المدينة. كما يكون لدى مثل هذه الجهات مغلفات (ظروف) مطبوع عليها نفس المعلومات المذكورة أعلاه.

ويكون العنوان على الورق الرسمي مطبوعاً إما في وسط الورقة من الأعلى. أو على الجانب الأيمن للمطبوعات باللغة العربية، أو على الجانب الأيسر للمطبوعات بلغة أجنبية. وتدعى رأسية (ترويسة). وهنالك من يرغب بطباعة الاسم والعنوان باللغتين العربية والأجنبية معاً. ولهذا طريقتان:

الأولى: أن يكتب العنوان في وسط الورقة من الأعلى باللغة العربية، ثم تحته مباشرة باللغة الأجنبية.

الثانية: أن يطبع العنوان العربي على الجهة العليا اليمنى، والعنوان

باللغة الإنكليزية على الجهة اليسرى المقابلة. أما الشركات الغربية فتفضل طباعة العنوان على الجهة العليا اليمنى من الورقة.

2 ـ التاريخ: يذكر التاريخ في الرسائل الأجنبية على يمين الرسالة غالباً مع إمكانية ظهوره على يسارها أو في الوسط من أعلى الرسالة. ويمكن أن يذكر اسم الشهر ورقم اليوم فالسنة رقماً أيضاً. أو بذكر الشهر رقماً وبالترتيب التالي: اليوم، فالشهر، فالسنة. إلا أنه في الوسائل الأمريكية يعكس الأمر بالنسبة لليوم والشهر بحيث يذكر الشهر قبل اليوم.

أما في الرسائل العربية فيكتب التاريخ غالباً في أسفل الرسالة الشخصية. أما الرسائل الرسمية فيكون ثمة رقم للرسالة يكتب على الجانب الأعلى والأيمن منها، وتحت الرأسية مباشرة كمرجع لها. أما التاريخ فإما أن يذكر في الجهة المقابلة (اليسرى)، أو تحت الرقم. وهنالك من يضيف للرقم أحرفاً لها دلالة على القسم أو الموظف المسؤول الذي يجب أن يسلم إليه الرسائل الجوابية لاحقاً... كما يمكن أن يتركب الرقم من عدة مقاطع أو غير ذلك...

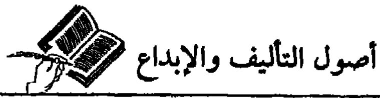
3 ـ اسم المرسل إليه وعنوانه: قد يكون ذكر اسم المرسل إليه في الرسائل الشخصية كافياً في أول الرسالة. أما في الرسائل الرسمية فلا بد من ذكر العنوان تحته مباشرة. ويتم ترتيب العنوان كما يلي: الاسم مع كلمة السيد، أو السيدة، أو الآنسة، أو السادة قبله. والمحترم، أو المحترمة، أو المحترمين بعده. بينما يكتفى في الرسائل المكتوبة بالإنجليزية بالرمز الذي يعني السيد أو السيدة أو السادة قبل الاسم، دون ذكر أي كلمة تعبر عن الاحترام بعدها. وجدير بالذكر أن الاسم يكتب

كاملاً في الرسائل الرسمية والتي تشمل رسائل الأعمال طبعاً. ثم يذكر في السطر التالي رقم صندوق البريد ومكان المكتب الذي يوجد فيه. ثم الشارع ورقمه والرمز البريدي، فالمدينة، ثم في سطر مستقل يذكر اسم البلد. ويفضل ذكر اللقب الخاص الذي يتميز به المرسل إليه قبل ذكر اسمه، وبعد كلمة السيد أو السيدة. كما يمكن ذكر وظيفة المرسل إليه في الرسائل الرسمية في سطر آخر بعد السطر الذي يحتوي على اسمه. كما يذكر في هذه الحالة اسم شركته وعنوانها. لا سيما عندما تكون الرسالة جواباً لرسالة تلقيتها من الشركة المذكورة موقعة من ذلك الشخص. ويمكن أن يذكر اسم ووظيفة الشخص المذكور بعد اسم وعنوان شركته في سطر مستقل بعد كلمة لعناية السيد أو السيدة، أو الآنسة.

4 ـ عبارة البدء: في الرسائل الرسمية المكتوبة باللغة العربية قد لا يكون مستساغاً أي عبارة من عبارات التحية. إلا أنه في مجال رسائل الأعمال فذلك ممكن باقتضاب. ومن ذلك عبارة تحية طيبة، أو السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... كما يفضل بعضهم البدء باسم الله الرحمن الرحيم في رسائلهم بذكر التسمية في أول وأعلى الرسالة في الرسائل الشخصية أو في جميع الرسائل في بعض الأقطار الأخرى. وتأتي التحية في الترتيب في سطر يلي اسم وعنوان المرسل إليه.

وليس من حدود أو نماذج محددة لعبارات المجاملة والتحية، أو عبارات البدء في الرسائل الشخصية. إلا أنها في رسائل الأعمال يفترض أن تكون مختصرة ما أمكن مثل:

«شكراً على رسالتكم المؤرخة في... برقم... والمتعلقة بـ...»



بينما تكون عبارة البدء في الرسائل الرسمية غالباً خالية من المجاملات مثل:

«رداً، أو إشارة، أو إجابة لرسالتكم رقم. . . تاريخ. . . والتي بموجبها. . .»

أما إذا كانت الرسالة ليست رداً على رسالة مستلمة مسبقاً من المرسل إليه. فتختلف عبارات البدء تبعاً للغرض من إرسالها. وبصورة عامة يفضل تجنب الإطالة، أو الأطناب أو ما شابه. والاهتمام بالدخول في الموضوع بصورة مباشرة ما أمكن. وبذلك تكون عبارة البدء لتوضيح الغرض من إرسال الرسالة مثل:

«حيث إننا نرغب بـ. . . أو نظراً لحاجتنا إلى. . . أو ترغب مؤسستنا في. . .»

5 ـ **الموضوع**: بعضهم يفضل ذكر عنوان يفيد بموضوع الرسالة في سطر خاص في أول الرسالة وبعد التحية. وذلك إما في وسط الرسالة. أو في أحد جانبيها العلويين.

6 ـ **النص**: وهو مضمون الرسالة الذي يأتي بعد عبارة التحية وعبارة الموضوع إن وجدا. أو بعد الاسم والعنوان. ويفضل كتابة النص على فقرتين:

الأولى: تشرح السبب في إرسال الرسالة. . .

والثانية: توضح المطلوب بموجب هذه الرسالة.

7 ـ **الختام**: وتتضمن عبارة المجاملة التي تختتم بها الرسالة، والتي تختلف باختلاف نوع الرسالة وموضوعها.

8 ـ التوقيع: ويأتي في أسفل الرسالة وعلى الجهة اليسرى في كل من الرسائل العربية والإنكليزية. وفي الرسائل الرسمية يذكر اسم المرسل، ثم وظيفته في سطر مستقل، كما يمكن إضافة اسم الشركة التي يعمل بها أيضاً.

9 ـ الملاحظة: وتأتي في سطر مستقل بعد التوقيع لإضافة ملاحظة ما عن أمر لم يذكر في صلب الرسالة. علماً بأنه يفضل ألا يكون ثمة مثل هذه الملاحظة في الرسائل.

10 ـ المرفقات: وتذكر غالباً في الرسائل التجارية أو الرسمية في سطر مستقل.

11 ـ قد تكون ثمة عبارات مهمة أو متميزة في النص بحيث يبرزها الكاتب على الآلة الكاتبة الحديثة، أو بواسطة جهاز الحاسوب شكلاً مميزاً سواء بكتابتها بالخط الغامق، أو بالتمييل، أو بالتسطير. . .

12 ـ المغلف: يعطي المغلف (الظرف) انطباعاً عن الرسالة التي يحتويها. ويتناسب عادة حجمه ونوعه مع حجم الرسالة ومرفقاتها إن وجدت. وفي الرسائل الرسمية والتجارية، تكون غالباً المغلفات مطبوع عليها اسم وعنوان الشركة.

هذا ويتبع بعضهم نظاماً معيناً في كيفية وضع اسم وعنوان المرسل واسم وعنوان المرسل إليه من حيث المكان، وكذلك المكان الذي يوضع فيه الطابع البريدي. والذي قد يكون على شكل ملصق، أو ختم خاص يوضع على المغلف في مكتب البريد.



أما في الرسائل الخاصة والعائلية والرسائل التي تحتوي على بطاقات المناسبات. . . فليست على شكل واحد. وتتبع ذوق المرسل ونوع المناسبة. . .

بينما تتخذ الرسائل التجارية الأخرى، والتي تتخذ شكل الكتب أو الكتيبات العلمية، أو العملية التي تحتوي على تعليمات عن تركيب وتشغيل الآلات والمعدات والأجهزة. فإنها تدعى رسائل فقط لكونها تقوم بعملية اتصال بين المرسل والمتلقي. أما الشكل فمختلف. وليس في هذه بل هنالك ما يمكن أن يدخل في نطاق الرسائل كوصفة الطبيب، أو نشرات الأدوية. . . وغير ذلك كثير. والصفة التي تجمع الجميع هي تحقيق دور ما في عملية الاتصالات، التي أخذت تحظى باهتمام أكبر وأكبر يوماً بعد يوم، كوسيلة لنقل المعلومات بين منتجيها ومستخدميها. ولا سيما بعد أن تطورت وسائلها وتقنياتها بصورة غير عادية.

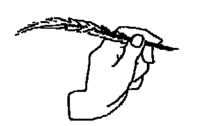


الفصل الخامس

الكتابة الفنية

- سمات وخصائص الكتابة الفنية
  - الأسلوب
  - البلاغة
    - بين الحقيقة والمجاز
    - التشبيه
      - أركان التشبيه
      - أعراض التشبيه
    - الاستعارة
  - علم البديع
  - علم المعاني
  - علم العروض والقوافي





الكتابة الفنية

يقصد بالكتابة الفنية، الكتابة الأدبية التي أشرنا إلى خصائصها في الفصول السابقة. وتختلف الكتابة الفنية بحسب الفن والفرع الذي تنتمي إليه من نثر وشعر. وما إذا كانت تعزى إلى فن الوصف أو الغزل أو المدح أو الحكمة... أو إلى فن القصة أو المسرحية أو غير ذلك...





سمات وخصائص الكتابة الأدبية الفنية

تتسم الكتابة الفنية بصورة خاصة بما يلي:

1 ـ الأسلوب:

وهو الطريقة التي يختار بموجبها الكاتب مفرداته وألفاظه وهو ما يربطه علماء اللغة بالفصاحة. فيبني بها تراكيبه، كما يبني المهندس الأبنية المختلفة من مواد هي غالباً مواد متشابه فيها جميعاً كما هو حال المفردات والألفاظ التي يستخدمها الكاتب، ليعبر بها عن أفكاره، أو ما يود أن يوصله بالكتابة إلى المتلقي المتوقع من أقرب الطرق، وبأنصع الصور وبشكل يميز ما يكتبه عن غيره من الكتّاب. وهو ما يرتبط لديهم بالبلاغة.

ويمتاز الأسلوب الجيد، بالوضوح من جهة، والإيجاز من جهة أخرى، وعدم تكرار الألفاظ أو الجمل أو الأفكار... بدون مسوغ مقبول من ناحية فنية أو ما يتقبله الذوق السليم. كما تقتضي الفصاحة خلو المفردات من عيوب التنافر والثقل على السمع أو كراهته، أو مخالفتها للقياس وقواعد الصرف، أو ضعف التأليف والتعقيد اللفظي ومخالفة

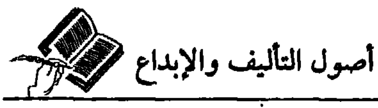
قواعد النحو، أو الغرابة أو التعقيد المعنوي بسوء استخدام عناصر البيان. أو عدم مراعاة الأحوال ومقتضياتها من حيث الموضوع الذي يود الكاتب أن يوجهه إلى المتلقي، أو من حيث مراعاة وضع المتلقي من حيث الثقافة والقدرة على فهم المراد وهل يغني الإيجاز، أو أنه لا بد من الشرح المطول ليتم له المراد، وهذا ما يعنى به علم المعاني، أو سوء استخدام المحسنات البديعية.

وغالباً ما يعتبر الأسلوب طريقة للتعبير تختلف من كاتب إلى كاتب. كصدق العاطفة، ووقع النص المكتوب في النفس، ومدى الإقناع والمنطق الذي يتصف به، والواقعية والخيال. . . إلخ.

2 ـ البلاغة:

تعرف البلاغة بأنها الكلام المعبّر بكل اقتضاب. وقد يصح في ذلك المثل السائر القائل: «خير الكلام ما قل ودل». إلا أن الاقتضاب لا يكون هدفاً بحد ذاته ما دامت الفكرة لا تتضح معه. وإن كان الاقتضاب ممكناً بل مرغوباً به في الخطابة والمقالة والشعر وما شابه. فإن الإسهاب قد يكون مرغوباً به في فنون الوصف أو في بعض المواقف في المسرحيات والقصص. . .

وهنالك من يصف البلاغة بأنها «متوقفة على مطابقة الكلام لمقتضى الحال». وأن مقتضى الحال هو ما يجرى على مقتضى ظاهر الكلام. إلا أن ثمة أحوال يتم خلالها إخراج الكلام على غير ظاهره، بقصد التنويع والتلوين، تفادياً للملل ورغبة في إبقاء السامع أو القارىء مهتماً بما كتب



له. الأمر الذي يضفي على النص شيئاً من التجديد واللطف الملائم للذوق السليم، والحس المرهف.

وقد تفهم البلاغة بأنها استخدام ما يتصل بعلوم المعاني والبيان والبديع. فمثلاً يبحث علم المعاني في تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء، والمسند والمسند إليه، ومسائل كالإطلاق والتقييد، والقصر والوصل والفصل والإيجاز والأطناب... إلخ. بينما يهتم علم البيان بالتشبيه، والمجاز بنوعيه العقلي والمرسل، والاستعارة، والكناية، بأنواعها. أما علم البديع فيعنى بالمحسنات المعنوية من تورية واستخدام، واستطراد، وافتنان، ومقابلة، وطباق، ومراعاة النظير، والإرصاد، والإدماج، والمذهب الكلامي، والتجريد، والمشاكلة، والمزاوجة، والطي والنشر، والجمع، والتفريق، والتقسيم، والجمع، والتفريق، الجمع مع التقسيم، المبالغة، والمغايرة،... والمحسنات اللفظية كالجناس، والسجع، والتصحيف، والازدواج، والموازنة، والترصيع، والتشريع، والمواربة، والإئتلاف، والتسميط، والتطريز، والاكتفاء، ورد العجز على الصدر وغيرها...

أما عن السرقات الأدبية المقبولة، ولا سيما في الشعر فنعدد منها: الاقتباس، والتضمين، والعقد والحل، والتلميح، وحسن الابتداء، والتخلص، وحسن الختام...

ولا نعني استخدام الأساليب البلاغية والمحسنات البديعية بصورة مصطنعة بحيث لا تقع في النفس وقعاً حسناً. وإنما أن تأتي بصورة طبيعية ملائمة للموقف منسجمة مع مجمل النص وسياقه العام. ويتأتى ذلك

للكاتب الأديب بما يملكه من ثقافة أدبية واسعة، وممارسة متواصلة دؤوبة.

ولكل ما سبق يتضح لنا كيف يختلف الأسلوب بين كاتب وآخر، رغم أنهم جميعاً نهلوا من معين واحد تقريباً، وحتى لو كتبوا جميعاً في موضوع واحد. يضاف إلى ذلك انعكاس شخصية الكاتب على أسلوبه. فإذا هو يصبغه بصبغة خاصة متميزة.

وفيما يلي بعض النماذج، مع شرح موجز ومبسط لأهم الأساليب البلاغية:

(أ) بين الحقيقة والمجاز:

الحقيقة في الكتابة تكون باستخدام المفردات في ما وضعت له أصلاً. أما المجاز فهي في استخدام المفردات في غير ما وضعت له أصلاً، ولوجود علاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي لها. فإن قلت مثلاً: «الحمد لله رب العالمين، خالق كل شيء» فأنت لم تعدو الحقيقة في شيء. أما إذا قلت: «وكان الله بالسر عليماً». فالله كان من الأزل ولا زال وهو باق إلى الأبد. ولكن ما دمت قلت ما لا تقصده بمعناه الحرفي، فقد قلت مجازاً. والمجاز غير الكذب الذي يحاول إخفاء الحقيقة، وليس مجاراتها. ومن يتمعن بكلام العرب وما نتداوله من كلام، يجد أن معظمه يدخل في مجال المجاز، أي الكلام الذي يحتمل التأويل.

وللمجاز لدى علماء البلاغة نوعان هما:

1 ـ **المجاز العقلي**: كأن تقول: «بنيت بيتاً» بينما أنت لم تقم ببنائه

بنفسك. أو نبت الزرع، وهو لم ينبت بفعل منه، أو قلت هو في عيشة تعيسة، أو هو سيل دافق، أو قائم ليله، وصائم نهاره... فما دمت تسند الفعل أو معناه إلى غير فاعله الحقيقي ولكن لما يلتبس معه أو ما يلابس الفاعل أو المفعول به أو المصدر وظرفي الزمان والمكان والسبب.

2 - **المجاز المرسل**: وهو ما كانت العلاقة بين ما وضع له وما لابسه علاقة غير التشبيه. وسمي مرسلاً لعدم وجود مثل هذه العلاقة. كأن تقول: «له أياد علي كثيرة». وتعني بها النعم... و«يد الله مع الجماعة» أي عون الله.

ومن أنواعه ما سنورده فيما يلي بإيجاز:

1 - **السببية**: كقوله تعالى: **﴿ومن شهد منكم الشهر فليصمه﴾** وما يشاهد هو هلال الشهر لا الشهر. والعلاقة المانعة للمعنى الحقيقي هنا علاقة سببية.

2 - **المسببية**: كقوله تعالى: **﴿وينزل لكم من السماء رزقاً﴾** والمراد المطر الذي ينبت الزرع. فهي هنا علاقة مسببية.

3 - **الجزئية**: وهي تسمية الكل بالجزء. كما في قولك: «لدي رأسان من الإبل» والمقصود لدي اثنان من الإبل.

4 - **الكلية**: وهي عكس ما سبق أي إطلاق الكل على الجزء، كقولك: «أقمت في الشام دهراً» والمقصود الإقامة في مكان ما منها.

5 ـ **اعتبار ما كان**: كقولك: «أكلت القمح» والمقصود بذلك الخبز الذي كان قمحاً.

6 ـ **اعتبار ما سيكون**: كقوله تعالى: **﴿إن الأبرار لفي نعيم﴾** والقصد أنهم سيكونون في نعيم في الآخرة.

7 ـ **المحلية**: وهي أن يذكر المحل بينما يراد باللفظ الحال فيه. كأن تقول: «ركبت البحر» وتقصد ركبت سفينة أو مركباً يجري في البحر.

8 ـ **الحالية**: وهنا يذكر الحال بينما المراد هو المحل: «إن الأبرار لفي نعيم» وهنا المراد بالنعيم الجنة.

9 ـ **الآلية**: كأن يذكر اسم الآلة ويكون المقصود أثرها. «الفلان سبعة ألسن» والمقصود تنوع الكلام والقدرة على تطويعه والإكثار منه. أو أنه يتكلم عدة لغات. . .

10 ـ **المجاورة**: أي إذا ذكر الشيء وأريد ما جاوره. كقول عنترة: «فشككت بالرمح الأصم ثيابه» والمراد جسم عدوه الذي يصف كيف تمكن منه فقتله.

(ب) التشبيه:

أي تمثيل شيء بشيء يشبهه من بعض الوجود لا جميعها كقولك: «فلان كالبحر في جوده». وبذلك ينوب أحد الموصوفين عن الآخر. والتمثيل أخص من التشبيه بينما التشبيه أعم. وهكذا فليس كل تشبيه تمثيلاً، إلا أن كل تمثيل هو تشبيه. التمثيل يكون صورة منتزعة من عدة وجوه كقول الشاعر:

«رأيت المنايا خبط عشواء من تصب

تمته، ومن تخطىء يعمر فيهرم»

أركان التشبيه:

للتشبيه أركان أربعة هي:

1 - المشبه.

2 - المشبه به.

3 - أداة التشبيه.

4 - وجه الشبه.

وفيما يلي شرح موجز لكل منها:

1 - طرفا التشبيه: وهما المشبه، والمشبه به. ويكونان إما حسيان، أي ما يدرك بالحواس الخمس (اللمس، والنظر، والسمع، والشم، والذوق). أو عقليان، أي يدركان بالعقل لا بالحس، كقولهم «العلم نور والجهل ظلام». أو مختلفان أي أن أحدهما يدرك بالحس والآخر يدرك بالعقل. كقولك «أنشبت المنية أظفارها» أي شبهت المنية بالسبع. ويلحق بالتشبيه الحسي التشبيه الخيالي وهو تشبيه شيء بشيء غير موجود في الواقع ولكن مادة التشبيه مما يمكن إدراكه حسياً. كقول الشاعر:

«وكأن محمر الشقيق إذا تصوب أو تصعد

أعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد»

والمراد تشبيه الشقائق في ميلها إلى أعلى أو أسفل وحمرتها مع ما

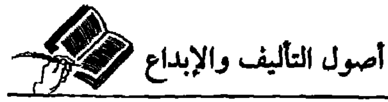
في وسطه من سواد، بالياقوت على رماح صنعت من زبرجد، وهو أمر غير موجود في الواقع وإنما في خيال الشاعر فقط.

أما التشبيه الوهمي فيلحق بالتشبيه العقلي، وهو لما ليس يدرك بالحواس، ولكنه لو وجد لأدركته الحواس، كالتشبيه بالشياطين والملائكة. كما يدخل في التشبيه العقلي ما يدرك بالوجدان كاللذة والألم. والجوع والشبع، وكذلك القوة والضعف، والغضب والفرح... ومنهم من يعدد أنواعاً ووجوهاً للتشبيه، من حيث جودته. من ذلك إخراج ما لا تدركه الحاسة إلى ما تدركه. كقوله تعالى: ﴿**والذين كفروا أعمالهم كسراب في قيعة يحسبه الظمآن ماء**﴾. ومن ذلك إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به. كقوله تعالى: ﴿**فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان**﴾. ومنه إخراج ما لا يعرف بالبديهة إلى ما يعرف به. كقوله تعالى: ﴿**مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت**﴾. ثم هنالك إخراج ما لا قوة له في الصفة على ما له قوة فيها. كقوله تعالى: ﴿**وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام**﴾.

ومنهم من يعدد أنواعاً أخرى كالتشبيه المفرط: أو المبالغ فيه. كقول الشاعر:

«وإن صخراً لتأتم الهداة به
كأنه علم في رأسه نار»

والتشبيه المصيب: وهو إخراج الأكثر غموضاً إلى الأكثر وضوحاً دون إفراط في التشبيه. كقول الشاعر:



«إن الثريا علقت في مصامها

بأمراس كتان إلى صم جندل»

إضافة إلى التشبيه المقارب، والتشبيه البعيد.

2 ـ أداة التشبيه: وهي كل لفظة تدل على المشابهة والمشاركة. وهما حرفان: «الكاف، وكأن». وأسماء: كألفاظ «مثل، ونحو، ومماثل، ومشابه ومرادفاتها...». أما الأفعال: فهي كما في قولك: «يشبه، ويماثل، ويضارع، ويحاكي، ويضاهي...». ويقسم البلاغيون التشبيه إلى مرسل وهو ما ذكرت فيه أداة التشبيه. والتشبيه المؤكد هو ما حذفت منه أداة التشبيه، وهو أبلغ من المرسل. ومنه ما يضاف فيه المشبه إلى المشبه به. كقولك: «ذهب الأصيل، ولجين الماء». أو ما يقع فيه المشبه موقع المبتدأ والمشبه به الخبر المفرد كقول الشاعر:

«حديثها الشهد إلا أنه نغم

جرت على فم داوود فغناها»

وما يقع فيه المشبه موقع المبتدأ، والمشبه به موقع الخبر المفرد المكون من مضاف ومضاف إليه. ومنه أن يكون المضاف إليه معرفة كقولك: «أنت ملاذ الضعفاء». كقولك: «فلان بحر علم». أي أنه في العلم كالبحر في اتساعه. وهنا يجب تقديمه.

3 ـ وجه الشبه: وهي الصفة التي يشترك فيها المشبه والمشبه به. ومنه أن يشتركان في صفة واقعية، كتشبيه الرجل بالأسد، لاشتراكهما في الشجاعة والقوة. وشعر المرأة بالليل لاشتراكهما في السواد... أو أن

يشتركا في صفة على سبيل التخيل كتشبيه الهدى بالنور والضلال بالظلام.

وقد يكون وجه الشبه في الإفراد والتعدد. والذي قد يكون حسياً وقد يكون عقلياً. كتشبيه فاكهة بأخرى من حيث اللون والرائحة والطعم... فإذا حذف بعضها كفى الباقي. أو كتشبيه الفتاة بأمها حناناً وعقلاً وسلوكاً... فالأول وجه الشبه فيه متعدد حسي والثاني متعدد عقلي.

وهنالك تقسيم للتشبيه من حيث وجه الشبه. من تمثيلي وغير تمثيلي، ومفصل ومجمل، وقريب وبعيد.

فأما التمثيلي فهو كقول عنترة:

«فوددت تقبيل السيوف لأنها
لمعت كبارق ثغرك المتبسم»

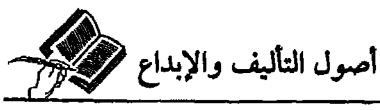
وأما غير التمثيلي فهو كقول الشاعر:

«وليل كموج البحر أرخى سدوله»

والمفصل يكون كقول الشاعر:

«يا شبيه البدر في الحسن وفي بعد المنال»

أما التشبيه المجمل: وهو إما تشبيه ظاهر، أي ما يمكن أن يفهمه أي إنسان. كالتشبيه بالأسد لوجه الشبه في القوة والشجاعة. وتشبيه خفي وهو ما يحتاج لفهمه إلى قدر من الثقافة كقولهم: «أصبحت المسألة كحلقة مفرغة». أي ليس لها طرف يمكن الإمساك به، إن الأمور يسبب بعضها بعضها الآخر فالنتيجة تنتج السبب والسبب ينتج النتيجة نفسها وهكذا دواليك.



والتشبيه القريب: وهو ما ينتقل فيه المشبه إلى المشبه به من غير تدقيق نظر لكون الشيء يظهر في بادىء الأمر جملياً غير مفصل. مع غلبة حضور المشبه به في الذهن.

والتشبيه البعيد: هو ما لا ينتقل فيه المشبه إلى المشبه به إلا بعد ذكره، وذلك لخفاء وجهه في بادىء الأمر. لكونها أكثر تفصيلاً من جهة، وندرة حضور المشبه به في الذهن.

التشبيه المقلوب: هو جعل المشبه مشبهاً به بادعاء وجه الشبه فيه أقوى وأظهر. كتشبيه الشمس بوجه المرأة الجميلة. أو كقول البحتري:

«في طلعة الشمس شيء من محاسنها

وللقضيب نصيب من تثنيها»

التشبيه الضمني: وفيه لا يظهر أي من الشبه أو المشبه به، بل يلمحان في السياق. ويفيد أن الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن. كقول أبي فراس:

«سيذكرني قومي إذا جد جدهم

وفي الليلة الظلما يفتقد البدر»

التشبيه البليغ: وهو ما حذف منه الأداة. وهو من أعلى مراتب التشبيه. كقول أبي فراس الحمداني:

«إذا نلت منك الود فالكل هين

وكل الذي فوق التراب تراب»

أغراض التشبيه:

1 ـ **بيان حال إمكان وجود المشبه**: وذلك حين يسند إلى المشبه أمر مستغرب. لا تزول غرابته إلا بذكر المشبه به.

2 ـ **بيان حال المشبه**: وذلك عندما يكون المشبه مجهول الصفة، فيفيده التشبيه في الوصف.

3 ـ **بيان مقدار حال المشبه**: وهو عندما يكون المشبه معروف الصفة ولكن التشبيه يفيد في قوة أو ضعف هذه الصفة.

4 ـ **تقرير حال المشبه**: وذلك بتثبيت حال المشبه في نفس السامع، وتقوية شأنه لديه.

5 ـ **تزيين المشبه**: وهو تحسين صورة المشبه عن طريق تشبيهه بما هو حسن.

6 ـ **تقبيح المشبه**: وهو بتحقير وصف المشبه عن طريق تشبيهه بما هو قبيح.

وفي الأغراض الأربعة الأولى، يكون وجه الشبه أقوى في المشبه به. إلا أنها جميعاً ترجع إلى المشبه غالباً. إلا في التشبيه المقلوب فترجع إلى المشبه به.

هذا، وللتشبيه غرائب ومحاسن وعيوب، ذكرت في كتب اللغة التي تتحدث عن البلاغة اللغوية، يمكن لمن يرغب بالمزيد أن يرجع إليها. فالهدف هنا لفت النظر إليها، وإلى ضرورة تعلمها لمن يرغب أن يرفع من شأنه كتابته الفنية.

(جـ) الاستعارة:

هي رفع الشيء وتحويله من مكان إلى آخر. كما يعني انتقال الشيء من يد الحائز له إلى يد المستعير للانتفاع به مؤقتاً. وهكذا تكون الاستعارة قائمة بين متعارفين تجمع بينهما صلة ما. وهي عند البلاغيين: تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه. ويمكن القول إنها مجاز علاقة المشابهة، أو أنها تشبيه حذف أحد طرفيه. ومن أمثلتها قول الحجاج: «إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها» فاستعار للرؤوس البشرية التي تستحق القطع في نظره، ما يقال في الثمار الناضجة القابلة للقطاف. ولا شك أنها عبارة أقوى مما لو قالها على أصلها دون استعارة.

وللاستعارة نوعان هما:

1 ـ **استعارة تصريحية**: وهي ما استعير فيه لفظ المشبه به للمشبه.

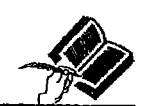
2 ـ **استعارة مكنية**: وهي ما حذف فيه المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه.

وهنالك تقسيمات أخرى يمكن للدارس أن يجدها في كتب البلاغة المتخصصة.

(د) الكناية:

هي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، مع جواز إرادة معناه الأصلي. كقولهم «طويل النجاد» كناية عن طول القامة حامل النجاد الذي هو حامل السيف. مع إمكان إرادة معنى طول النجاد، الذي يستلزم طول القامة.

وهنالك المزيد عن الكناية وأقسامها في كتب البلاغة.



علم البديع

3 ـ علم البديع:

وهو تجميل الكلام بمحسنات هي كالملح والبهار للطعام. وتشمل ما يلي:

1 ـ **الجناس**: وهو اشتراك كلمتين في اللفظ دون المعنى. ومثاله كما في قوله تعالى: ﴿**ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة**﴾. فكلمة ساعة الأولى تدل على يوم الحشر، وكلمة ساعة الأخرى تدل على مقدار الوقت.

وقد تختلف بعض أحرف إحدى الكلمتين عن الأخرى، كما في قول الشاعر:

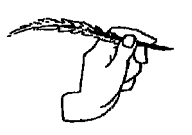
«لا تلم كفي إذا السيف نبى
صح مني العزم والدهر أبى»

2 ـ **الطباق**: وهو تضاد في المعنى في لفظتين مختلفتين، أو بين عبارتين. كقولك «تعطي وتمنع» أو «ترفع وتضع» أو كقول المتنبي:

«أزورهم وسواد الليل يشفع لي
وأنثني وبياض الصبح يغري بي»

3 ـ **السجع**: وهو القافية في النثر. كما في مقامات الحريري وبديع الزمان الهمذاني. وكان العرب يميلون إليه لما فيه من موسيقى. وكثيراً ما يلاحظ في القرآن الكريم كما في سورة الرحمن: ﴿**الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان**. . .﴾.





علم المعاني

الخبر والإنشاء:

قسم البلاغيون الكلام إلى خبر وإنشاء. فالخبر هو ما يمكن وصفه بالصدق أو الكذب. والإنشاء وهو ما لا يحتمل الصدق أو الكذب، بل يكون عادة في الاستفهام، والأمر، والنهي، والتمني، والنداء، والتعجب، والمدح والذم، والقسم، وأفعال الرجاء وغير ذلك... وهو ما يكسب الكلام الحيوية والحركة والجاذبية، وهو المتنفس الطبيعي للعاطفة المنفعلة... أما أغراض الخبر فهي في إبلاغ المخاطب الحكم الذي تتضمنه العبارة، كقولك: «صحتي جيدة». أو إعلامه بأننا نعلم ما هو على علم به. إنك طويل القامة. وقد يكون هنالك أغراض أخرى كالمدح والفخر وغيرهما...

أما أغراض الإنشاء، فلا تقتصر على العناوين المشار إليها أعلاه. بل إن كلاً من هذه الأغراض لها أغراض تتفرع عنها. ومن ذلك:

1 ـ الاستفهام: وهو الاستعلام عن أمر ما كقولك: «كيف هي

صحتك» على أن الاستفهام يمكن أن يحمل معان أخرى أهمها:

(أ) النفي: أي الاستفهام بقصد النفي، فالمتكلم ينفي أمراً ما باستخدام أداة استفهام في حين يمكن أن تحل محلها أداة نفي فيصح المعنى ولكن استخدام التساؤل أبلغ. كما في قول الشاعر:

«هل الدهر إلا غمرة وانجلاؤها

وشيكاً وإلا ضيقة وانفراجها»

فلو وضعت «ما» النافية بدلاً من «هل» الاستفهامية لصح المعنى.

(ب) الإنكار: وهو الإنكار بصيغة الاستفهام كأن تخاطب من يطلب أمراً لا يستحقه:

«وهل أنت أهل لذلك؟!». أو كقول أبي فراس:

«أيضحك مأسور؟؟!. وتبكي طليقة؟!...»

وغالباً ما يتبع علامة الاستفهام، إشارة التعجب.

(ج) التوبيخ: وهنا التساؤل يكون بقصد اللوم والتوبيخ، لا انتظار الجواب من المخاطب. كقول شوقي:

«إلام الخلف بينكم إلام؟

وهذي الضجة الكبرى علام؟»

وهنالك كثير من الأغراض الأخرى كالتعجب، والتمني، والتشوق، وغيرها...

2 ـ **الأمر**: وهو طلب الفعل مع الاستعلاء من الطالب على المطلوب منه غالباً. إلا أن ثمة معان أخرى تختلف عن هذا التعريف مثل:

(أ) **الإرشاد**: وهو كقول علي بن أبي طالب (ر):

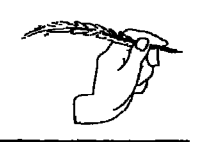
«فلا تكثرن القول في غير وقته
وأدمن على الصمت المزين للعقل»

(ب) التمني: كقول امرىء القيس:

«ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي
بصبح، وما الإصباح منك بأمثل»

وهنالك من المعان الأخرى كالدعاء، والتعجيز وغيرهما. . .

هذا، ونعود لنؤكد مرة أخرى، أن ما أوردناه في هذا الفصل وما يمكن أن يرد في غيره، ليس سوى نبذة مختصرة ومبسطة لإعطاء فكرة عن هذه الأمور لمن ليس لديه فكرة كافية عنها، أو لتنشيط معلومات من لديه خلفية لغوية سابقة. ثم لا بد لمن يرغب بالمزيد من أن يعود إلى كتب اللغة المتخصصة المنتشرة في المكتبات بصورة جيدة. والأمر يعود إلى من الذي يكتب، وماذا يكتب.



علم العروض وعلم القوافي

يعنى علم العروض بأوزان الشعر التي يعود الفضل في اكتشافها إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي. فلقد لاحظ ما في الشعر العربي من موسيقى رائعة، فكان أن تمكن بما وهب من ذكاء وعلم وإبداع من أن يصوغ ما توصل إليه من استقراء الشعر العربي في خمسة عشر بحر تجمعها خمس دوائر ثلاث منها بسيطات، تتركب من تفعيلات متشابهة خماسية أو سباعية، واثنتان مركبتان، تفعيلات كل منها خماسية وسباعية في وقت واحد. والتفعيلات هي الأوزان التي وضعها الخليل مشتقة من صيغة «فعل». ويقطع الشعر إلى أوتاد وأسباب وفواصل وهي:

- **الوتد**: نوعان مجموع يتكون من حرفين متحركين بعدهما حرف ساكن؛ ومفروق يتكون من حرفين متحركين بينهما حرف ساكن. مثل: «فعو» من فعولن أو «علا» من فاعلانن».

- **السبب**: وهو حرف متحرك بعده حرف ساكن مثل: «مس» من «مستفعلن» أو «فا» من «فاعلن». وهو سبب خفيف. أما السبب الثقيل فهو حرفان متحركان.

- **الفاصلة**: وهي صغيرة تتكون من ثلاثة أحرف متحركة بعدها حرف ساكن مثل: «متفا» من متفاعلن. أو كبيرة تتكون من أربعة أحرف متحركة بعدها حرف ساكن.

ولا يتوالى في الشعر أكثر من أربعة أحرف متحركة ولا ساكنان، إلا في قواف مخصوصة جداً.

أما تقطيع الشعر بقصد وزنه فيكون بحسب اللفظ لا الكتابة، فما يلفظ يعتد به وما لا يلفظ لا يعتد به.

وسمي هذا العلم بعلم العروض إما لأن الشعر يعرض عليه فما وافقه أجيز وما لم يوافقه استبعد. أو لكونه جانب من علوم اللغة فمعنى عروض في اللغة الناحية.

والعروض اسم لآخر جزء من الشطر الأول من البيت. أما اسم آخر جزء من الشطر الثاني منه فالضرب.

وفيما يلي تقديم آخر لهذه الدوائر مع بيان ما ينفك عن كل منها من بحور:

1 ـ دائرة المختلف: وسميت كذلك لاختلاف التفعيلات في البحر الواحد (خماسية وسباعية). وينفك عنها بحور «الطويل، والمديد، والبسيط». وبحران آخران مهملان لم ينظم العرب عليهما أياً من قصائدهم. أما عن أوزان هذه البحور (تفعيلاتها) فهي:

البحر الطويل: وسمي كذلك لأنه أطول الشعر فعدد حروفه ثمانية وأربعين حرفاً من جهة، ولأن أوائل أبياته الأوتاد والتي هي أطول من الأسباب.

«طويل له بين البحور فضائل   فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن»

ومن أمثلته قول زهير ابن أبي سلمى:

«سئمت تكاليف الحياة ومن يعش   ثمانين حولاً ـ لا أبا لك ـ يسأم»

البحر المديد: وسمي كذلك لامتداد الأسباب في أجزائه السباعية. ووزنه:

«لمديد الشعر عندي صفات   فاعلاتن فاعلن فاعلاتن»

ومن أمثلته:

«لا يغرنّ امرءاً عيشه   كل عيش صائر للزوال»

البحر البسيط: وسمي كذلك لانبساط الأسباب في أجزائه السباعية. أو لانبساط الحركات في عروضه وضربه. ووزنه:

«إن البسيط لديه يبسط الأمل   مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن»

ومن أمثلته:

«يا جار لا أرمين منكم بداهية   لم يلقها قبلي، ولا ملك»

2 ـ دائرة المؤتلف: وينفك عنها بحران هما الكامل، والوافر، والذين يتركب وزناهما من أجزاء سباعية.

البحر الوافر: وسمي بذلك لتوفر حركاته. ووزنه:

«بحور الشعر وافرها جميل   مفاعلتن مفاعلتن فعولن»

ومثاله:

«لـنـا غـنـم، نـسـوقـهـا، غـزار كـأن قـرون جـلـتـهـا عـصـي»

البحر الكامل: وسمي كذلك لتكامل حركاته ووزنه:

«كمل الجمال من البحور الكامل متفاعلن متفاعلن متفاعلن»

3 ـ دائرة المشتبه: وسميت كذلك لأن أجزاءها كلها سباعية متشابهة. وينفك منها ثلاثة بحور هي: الهزج، والرجز، والرمل.

بحر الهزج: سمي كذلك لتردد الصوت فيه. ووزنه:

«عـلـى الأهـزاج تـسـهـيـل مـفـاعـيـلـن مـفـاعـيـلـن»

ومثاله:

«عـفـا مـن آل لـيـلـى الـسـهـب والأمـلاح فـالـعـمـر»

بحر الرجز: وسمي كذلك لأنه يقع على ثلاثة أجزاء. ووزنه:

«في أبحر الأرجاز بحر يسهل مستفعلن مستفعلن مستفعلن»

ومثاله:

«دار لسلمى إذ لسلمى جارة قفر، ترى آيتها مثل الزّبر»

بحر الرمل: وسمي كذلك لأن الرمل نوع من الغناء على هذا الوزن. ووزنه:

«رمـل الأبـحـر تـرويـه الـثـقـات فـاعـلاتـن فـاعـلاتـن فـاعـلاتـن»

ومثاله:

«مثل سحق البرد، عفى بعدك الـ ـقطر مغناه، وتأويب الشمال»

4 ـ دائرة المجتلب: وسميت كذلك لكثرة أبحرها. وينفك منها ستة أبحر هي: السريع، والمنسرح، والخفيف، والمضارع، والمقتضب، والمجتث.

البحر السريع: وسمي كذلك لسرعته في الذوق والتقطيع. ووزنه:

«بحر سريع ما له ساحل   مستفعلن مستفعلن فاعلن»

ومثاله:

«أزمان سلمى لا يرى مثلها الـ   ـراؤون في شام، ولا في عراق»

البحر المنسرح: وسمي كذلك لانسراحه مما يلزم أضرابه وأجناسه. ووزنه:

«منسرح فيه يضرب المثل   مستفعلن فاعلات فاعلن»

ومثاله:

«إن ابن زيد لا زال مستعملا   للخير، يفشى في مصره العرفا»

البحر الخفيف: وسمي كذلك لخفته في الذوق والتقطيع. ووزنه:

«يا خفيفاً خفت به الحركات   فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن»

ومثاله:

«حل أهلي ما بين درنى فبادو   لي، وحلت علوية، بالسخال»

البحر المضارع: لأنه ضارع الهزج في تربيعه. ووزنه:

«تـعـدّ الـمـضـارعـات   مـفـاعـيـلـن فـاعـلاتـن»

ومثاله:

«دعـانـي إلـى سـعـاد   دواعـي هـوى سـعـاد»

بحر المقتضب: وسمي كذلك لأنه يبدو كأنه اقتضب من المنسرح.

ووزنه:

«اقـتـضـب كـمـا سـألـوا   فـاعـلاتـن مـفـتـعـلـن»

ومثاله:

«أقـبـلـت، فـلاح لـهـا   عـارضـان، كـالـبـرد»

بحر المجتث: وسمي كذلك لأنه يبدو وكأنه اجتث من الخفيف.

ووزنه:

«اجـتـثـت الـحـركـات   مـسـتـفـعـلـن فـاعـلاتـن»

ومثاله:

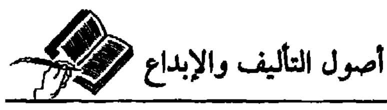
«الـبـطـن مـنـهـا خـمـيـص   والـوجـه مـثـل الـهـلال»

5 ـ دائرة المتفق: وسميت كذلك لاتفاق أجزائها الخماسية. ووضعها الخليل أصلاً للبحر المتقارب، ولم يقفل الباب. إلا أن تلميذه الأخفش اكتشف فيها بحراً دعي المحدث أو المتدارك.

البحر المتقارب: وسمي كذلك لتقارب أوتاده. ووزنه:

«عـن الـمـتـقـارب قـال الـخـلـيـل   فـعـولـن فـعـولـن فـعـولـن فـعـولـن»

ومثاله:



«فـأمـا تـمـيـم، تـمـيـم بـن مـرّ   فـألـفـاهـم الـقـوم روبـى، نـيـامـا»

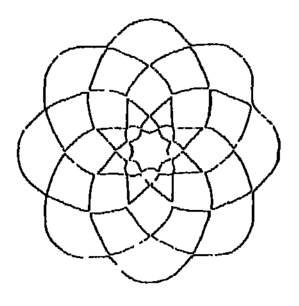
البحر المتدارك: وسمي كذلك لتداركه من قبل الأخفش. ووزنه:

«مـتـداركـنـا نـغـم عـجـل   فـعـلـن فـعـلـن فـعـلـن فـعـلـن»

ولكل بحر عدد من الأعاريض والأضراب، ويجوز في كثير من تفعيلاتها أحوال تغير من صيغتها. كما أن ثمة عيوب تؤخذ على الشعراء.

أما عن علم القوافي فيبحث في أنواعها وهي تسعة. ثلاث مقيدة وست مطلقة.

ويمكن لمن يرغب بالمزيد، الرجوع إلى كتب اللغة التي تبحث في العروض، والقوافي. وهي كثيرة في المكتبات العربية والحمد لله».



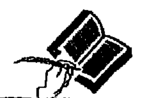
الفصل السادس

المزيد عن اللغة

- تمهيد
- علوم اللغة
  - المنطوقات (الأصوات)
  - الصرف (بناء الكلمة)
  - النحو (بناء الجملة)
  - الألفاظ الأساسية (المفردات)
  - الإعراب









تمهيد

هل اللغة أصوات؟. هل اللغة أحرف وكلمات مكتوبة؟. ما دور اللغة في عملية الاتصال بين الناس؟. ما هي حدود اللغة؟.

اللغة كما يعرفها علماء اللغة عبارة عن «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم» كما هي لدى «ابن جني» أو هي «ملكة في اللسان، وكذا الخط صناعة ملكتها اليد» كما يقول «ابن خلدون» في مقدمته الشهيرة. وهي لدى «كارول»: «نظام بنيوي من الأصوات العرفية المنطوقة، ومن تتابعات الأصوات التي تستخدم أو التي يمكن أن تستخدم في التعامل بين الأفراد عند مجموعة من البشر ويصنف الأشياء والأحداث والعمليات التي تتم في البيئة الإنسانية».

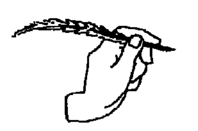
وهكذا نرى أن جميع التعاريف تتفق حول الطبيعة الصوتية للغة. ويقول الدكتور محمود فهمي حجازي في كتابه علم اللغة العربية «وقيمة الرمز تقوم على علاقة بين متحدث أو كاتب هو المؤثر، وبين مستمع أو قارىء هو المتلقي». ويضيف قائلاً: «واللغة وسيلة العامل ونقل الفكر بين المؤثر والمتلقي».

أما عن الكتابة، فيقول: «إن طبيعة اللغة تتخذ في المقام الأول صورة صوتية منطوقة مسموعة. فالكتابة في أحسن أحوالها محاولة للتعبير عن اللغة في واقعها الصوتي». ويضيف «وهذه المحاولة دقيقة أحياناً وغير دقيقة في أكثر الأحيان». فالرموز المستخدمة في كل لغة لا تتجاوز الثلاثين رمزاً، يؤلف منها آلاف الكلمات، ويركب منها ملايين الجمل، وملايين ملايين المعاني وظلال المعاني. وتشكل هذه الرموز الصوتية بنية اللغة باتخاذها عدة أنساق. فهنالك الصوامت «وهي جميع الأحرف تقريباً، عدا الحركات الطويلة». والحركات الطويلة والتي هي «الألف، والياء، والواو» كما في: «رياح، رفيع، سفوح» والتي قد تستخدم أحياناً كصوامت في بعض الكلمات مثل: «أكل، يرد، وصل». أما في الكتابة فقد يختلف الأمر بحيث ثمة أصواتاً لا تظهر في الكتابة كالحركات في اللغة العربية، رغم ما تشكله هذه الرموز صوتية، جزءاً مهماً من بنية اللغة. أو كبعض الأصوات الطويلة كما في: «هكذا، الرحمن. . .». وبشكل عام فإن الرمز لا يتخذ قيمته إلا في بيئة لغوية محددة.

أما وظيفة اللغة فهي وظيفة اجتماعية توفر لجماعة من البشر إمكانية التعبير والتفاهم ونقل الفكرة من شخص إلى آخر ومن مجموعة إلى أخرى. وتدعى الجماعة التي تتعامل بلغة ما «بالمجموعة اللغوية». و«النظام الرمزي الصوتي» لا يصبح «لغة» إلا إذا استخدم للتعامل في بيئة إنسانية. لذا فهي ترتبط بالعلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية السائدة في هذه البيئة اللغوية. ويختلف مصطلح «اللغة» كما عرّفت أعلاه عن مصطلح «الكلام» الذي يعني كيفية استخدام الفرد لعناصر اللغة. فليس

ثمة من يستخدم جميع العناصر اللغوية المتاحة. بل لكل فرد في المجموعة اللغوية أسلوبه الخاص في استخدام عناصر اللغة التي تشكل ليس قاموسه الخاص، بل طريقته في التركيب والتعبير والعرض. ولا يختلف تعريف اللغة لدى «الشيخ مصطفى الغلاييني» صاحب كتاب «جامع الدروس العربية» اللغة عن التعريف الذي سبق ذكره، أما الكلام فيعرّفه بأنه الجملة المفيدة معنى تاماً، مكتفياً بنفسه.

مما سبق يمكننا أن نكتشف أسباب التميز والخصوصية التي يتمتع بها كل كاتب عن غيره في التحدث أو الكتابة. وقد يكون للفرد دور هام في التجديد اللغوي، لا سيما إذا كان من المتحدثين أو الكتاب المرموقين في البيئة اللغوية المعنية. على أن للعوامل الحضارية، والسياسية، والاجتماعية، دور بالغ الأهمية أيضاً في مسائل، كالتنوع اللغوي في البيئة الواحدة، كما هو الحال في وجود لغات محلية في بعض مناطق الوطن العربي «من كردية، وأمازيغية، ونوبية. . . أو فرنسية في بعض دول المغرب العربي «أو انتشار تراكيب ومفردات وصيغ لغوية جديدة. . .



علوم اللغة

تهتم علوم اللغة بصورة عامة اليوم بدراسة المجالات التالية:

1 - الأصوات.

2 - بناء الكلمة.

3 - بناء الجملة.

4 - المفردات ودلالتها.

غير أن للغة العربية علوماً عدّدها اللغويون، ولا زالوا يأخذون بقواعدها، هي:

1 - **النحو**: ويعنى بأصول تعرف بها أحوال الكلمات العربية من حيث الإعراب (وهو كيف تتغير أواخر الكلمات بحسب ما يسبقها من عوامل) والبناء (أي بقاء أواخر الكلمات على حاله دون تغيير أياً كان من سبقها من عوامل).

2 - **والصرف**: وهو من أهم العلوم في اللغة العربية لأن عليه المعول في ضبط الكلم، ومعرفة تصغيرها، والنسبة إليها،

والعلم بالجموع القياسية والسماعية، والشاذة، ومعرفة ما يعتري الكلمات من إعلال، أو إدغام، أو إبدال. . .

(وكان كل من النحو والصرف يشكلان معاً علماً واحداً).

3 ـ **الرسم**: وهو أصول كتابة المفردات.

4 ـ **وعلوم المعاني، والبيان، والبديع**: وهي بمثابة فروع لعلم متكامل يدعى علم البلاغة.

5 ـ **العروض، والقوافي، وقرض الشعر**: وهي بمثابة فروع لعلم متكامل يعنى بالشعر وأصول نظمه.

6 ـ **علوم الإنشاء، والخطابة، وتاريخ الأدب، ومتن اللغة.**

وفيما يلي توضيح موجز عن كل من هذه المجالات أو الخصائص اللغوية:

1 ـ المنطوقات (الأصوات):

قلنا فيما سبق أن اللغة عبارة عن نظام رموز صوتية. . . ويميز علماء اللغة المهتمين بدراسة الرموز الصوتية في لغة ما بين ما هو صامت كالقاف واللام والفاء والباء. . . وبين ما هو متحرك كألف المد والياء والواو ويتبعها الحركات كما في اللغة العربية. وفي الحروف الصامتة يميز العلماء بين أحرف شفوية كالباء واللام والميم. وبين أحرف حلقية كالخاء والحاء. . . وبين أحرف الإطباق كالصاد والضاد والطاء. . . وكثرة أو قلة أو وجود أو عدم وجود هذا النوع من الأحرف أو تلك مما يميز لغة ما عن لغة أخرى.

ولعل اللغة العربية هي اللغة السامية الوحيدة التي ورثت عن اللغة السامية الأولى معظم أصواتها، وخصائصها الأخرى. بينما حدثت تغييرات في اللغات التي تنتمي إلى هذه المجموعة اللغوية بصورة متفاوتة لمعظم خصائصها الصوتية وغير الصوتية أيضاً.

2 ـ الصرف (بناء الكلمة):

ويعرف أيضاً لدى اللغويين بطرق الاشتقاق. ففي اللغة العربية كما في اللغات السامية، تتكون الكلمة من مادة ثلاثية. ومن ثم إما أن يزاد عليها بمقدمات أو لواحق تشكل مع المادة الثلاثية الأصل كلمات جديدة يمكن ضمها في أسرة واحدة تقوم وحدتها على أساس وجود هذه الأصوات الثلاثة. ومثال ذلك كلمة: شغل، شُغِلَ (مبني للمجهول)، شاغل، مشغول، مَشْغَل، مُشغِّل، مشاغل...

ويعود تحديد المعنى الأساسي الذي تدور حوله كل معاني الكلمات المختلفة المكونة من تتابع هذه الأصوات، إلى الأحرف الصامتة الثلاث الأساسية. أما المعنى الخاص لكل كلمة منها فيتحدد وفق معايير تتعلق بالحركات من ضم وفتح وكسر. وتتكون صيغ أخرى وفقاً لنهايات تلحق بالكلمة الأصلية كما في المثنى أو جمع المؤنث السالم أو جمع المذكر السالم. وهكذا يمكن القول أن تركيب الكلمة في اللغة العربية يعتمد على المادة اللغوية(المتمثلة بالأحرف الصامتة)، والوزن (المتمثلة بالحركات).

وتصنف الأسماء في اللغة العربية وفق ثلاثة معايير هي:

1 ـ العدد (الأفراد والتثنية والجمع).

2 ـ الحالة الإعرابية (الرفع والنصب والجر).

3 ـ الجنس (التذكير والتأنيث).

وتختلف اللغة العربية في كثير من خصائصها كلغة سامية عن خصائص اللغات الأوروبية... بينما قد تشترك في بعض هذه الخصائص مع بعض اللغات السامية الحية كالآرامية والسريانية والعبرية والعربية الجنوبية المستخدمة في الحبشة.

الكلمة وأقسامها: تعرّف كتب اللغة العربية الكلمة بأنها: «لفظ يدل على معنى مفرد». وهي لديهم على ثلاثة أقسام هي:

1 ـ الاسم: وهو ما دل على معنى غير مقترن بزمان كأحمد، وفراس، وحصان، وطير، وقمح، وماء. وعلامته أن يصح الإخبار عنه. وأن يقبل «ال» التعريف في أوله، أو «التنوين» في آخره.

وتقسم الأسماء إلى جامد ومشتق، ومجرد ومزيد، مذكر ومؤنث، ومفرد ومثنى وجمع (سالم، وتكسير وقلة، وكثرة، ومنتهى الجموع، وجمع الجمع، وجمع لا مفرد له والجمع على غير مفرده، وما كان جمعاً ومفرداً وجمع المركبات، وجمع الأعلام)، كما تقسم إلى مصدر، واسم جمع، واسم جنس، واسم مقصور واسم ممدود، واسم منقوص، ثم إلى اسم جنس، واسم علم، وإلى نكرة، ومعرفة. ولكل حكمه في النحو والصرف.

كما يقسم من حيث الحالات الإعرابية إلى صفة وموصوف، وإلى أسماء إشارة، أسماء موصولة، أسماء استفهام، والأسماء الخمسة، وإلى



اسم فاعل، ونائب فاعل، واسم مفعول، وأسماء التفضيل، وكذلك إلى فاعل، ومفعول به، ومفعول مطلق، ومفعول له، ومفعول فيه، حال، وتمييز، ومنادى، ومستثنى، ومضاف ومضاف إليه، واسم مجرور بحرف الجر، ونعت، وتوكيد، وبدل، ومعطوف ومعطوف عليه. . .

2 ـ **الفعل**: وهو ما دل على معنى في نفسه مرتبط بزمان. وأزمنته هي: الماضي، والمضارع، والأمر. ولكلّ أحكام في الرفع والنصب والجر والجزم. وعلامته أن يقبل «قد والسين، وسوف، وتاء التأنيث الساكنة، أو ضمير الفاعل، أو نون التوكيد». كما يقسم إلى فعل لازم وفعل متعدي، وفعل مبني للمعلوم، وفعل مبني للمجهول، وفعل صحيح وفعل معتل، وفعل جامد وفعل متصرف، وإلى أفعال تعجب وأفعال مدح وذم.

3 ـ **الحرف**: وهو ما دل على معنى في غيره، وليس له علامة يتميز بها كما للاسم والفعل. وهو على ثلاثة أقسام. يختص أحدها بالفعل كأدوات النصب والجزم، وثانيها بالاسم كحروف الجر، وأدوات النصب والرفع. وثالثها مشترك بين الاسم والفعل كحروف العطف والاستفهام (هل والهمزة). إضافة إلى الضمائر والتي هي أحرف تعامل معاملة الأسماء إعراباً.. وكذلك الظروف (زمان ومكان).

3 ـ النحو (بناء الجملة):

يتطور تركيب الجملة من حيث التبسيط والتعقيد، بحسب التطور الحضاري والفكري للجماعة اللغوية. ففي حين تتسم الجمل بالقصر

والتوازي في الأطوار القديمة للغة مع ربطها عن طريق الواو. فإنها لا تلبث أن تطول وتتعقد مع التطور الفكري والحضاري كما هو الحال في النصوص العربية القديمة، والنصوص التي تلت توسع الدولة العربية الإسلامية، والتي أفرزت حضارة تمكنت خلالها اللغة العربية من استيعاب كل مفرزاتها من علوم وفنون وآداب. الأمر الذي جعل ضرورات التعبير عنها تستدعي طول الجملة وتعقدها... وهذا حال جميع اللغات الأخرى.

المركبات: والمركب كما يعرفه اللغويون هو: «قول مؤلف من كلمتين أو أكثر لفائدة، سواء كانت تامة، مثل: «العلم نور» أو ناقصة مثل: «إن تتق الله...».

والمركب على ستة أنواع هي:

1 - **المركب الإسنادي:** الإسناد هو الحكم بشيء على شيء. ويسمى المركب الإسنادي جملة وهو ما تألف من مسند وهو ما جرى الحكم به. والمسند إليه وهو المحكوم عليه بشيء. كما في قولنا: «الحلم جميل» أو «يفلح المتقون». ويكون المسند إليه إما فاعلاً أو نائب فاعل، أو اسم فعل ناقص، أو اسم حرف كالتي تعمل عمل «ليس»، أو اسم إن وأخواتها، أو اسم كان وأخواتها، واسم لا النافية للجنس.

2 - **المركب الإضافي:** وهو ما تركب من المضاف والمضاف إليه مثل: «حارس البناء» أو «عمل الأديب».

3 ـ **المركب البياني**: وهو ما تركب من كلمتين توضح إحداها معنى الأخرى. كما في الصفة والموصوف، والتوكيد، والبدل.

4 ـ **المركب العطفي**: وهو ما تركب من المعطوف والمعطوف عليه بتوسطِ حرف العطف بينهما.

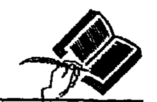
5 ـ **المركب المزجي**: وهو الكلمة المركبة من كلمتين. كبعلبك، وحضرموت، وبيت لحم.

6 ـ **المركب العددي**: وهو من المركبات المزجية، كالأعداد من أحد عشر إلى تسعة عشر، ومن الحادي عشر إلى التاسع عشر. أما ما كان بينها حرف عطف فهي ليست من المركبات العددية كالعدد من «واحد وعشرين إلى تسعة وتسعين» فهي من المركبات العطفية.

ولكل من هذه المركبات أحوال وأحكام خاصة في الإعراب يمكن لمن يرغب بالمزيد العودة إلى كتب اللغة المتخصصة.

4 ـ الألفاظ الأساسية (المفردات):

تتضمن كل لغة مفردات تأخذ معناها في البيئة اللغوية الخاصة. وليس من الضروري أن يكون للدلالة اللغوية لكل منها علاقة مباشرة مع صفات وخصائص ما تعبر عنه. فإن أفراد المجموعة اللغوية عبر التوارث المتواصل استقروا على الدلالة اللفظية لكل كلمة اصطلاحياً. مع ما قد يطرأ على المعنى من تطور أو تغيير ربما ابتعد بصورة ما عن المعنى



الأصلي للكلمة مثل كلمة الجامعة وهي الغل أو القيد كما استخدمت في اللغة العربية قديماً. بينما نجد لها اليوم معان أخرى كما يذكر «الدكتور حجازي» في كتابه «علم اللغة العربية» والتي نورد بعضها بتصرف. كمركز تعليمي جامعة دمشق) أو منظمة دولية إقليمية (الجامعة العربية) أو الجامعة الإسلامية كتيار سياسي، أو غير ذلك. وهنالك الجامع بمعنى المسجد، والجماعة وتعني في عصرنا الحديث مجموعة من البشر، وهي كذلك في «لسان العرب» كما أنها وردت فيه للحيوان والشجر. إلا أن الكلمة أخذت معان أخرى، ولا سيما في وصف الأمور الدينية «جماعة المسلمين، التمسك بالجماعة، أمر الجماعة، أهل السنة والجماعة، وغيرها. . .». وهنالك كلمات لم ترد في «اللسان» بينما وردت في غيره ككلمة الجمعية، واجتماع، ومجتمع، ومجموع، ومجموعة، وتجمع. . .

ويلاحظ «الدكتور حجازي» أن تطوراً حدث اليوم في التراكيب اللغوية أيضاً، لم يكن معروفاً في اللغة العربية قديماً. كتعدد المصادر في الجملة الواحدة كما يجري في الكتابات الصحفية والكتابات والمؤلفات الأخرى. وكذلك الإضافة بين المضاف والمضاف إليه باستخدام اللام أو الباء كما في قولنا: «هذا منظر عام للواجهة الأمامية لجامعة الدول العربية» بدلاً من قولنا «منظر واجهة جامعة. . .» ويورد أمثلة أخرى كقولنا: «المهام الجديدة للمدير العام» ونقول: «تفويض بعقد الاتفاقية، أو تخويل الرئيس بـ. . .» ومن الصيغ الجديدة أيضاً استخدام كلمة «أحد وإحدى» في التنكير كقولنا: «أحد الأمريكيين، إحدى الممرضات. . .». وفي استخدام ما للتنكير أيضاً فنقول مثلاً: «شيء ما، وقت ما. . .».

كما لاحظ أيضاً دخول كلمات غريبة إلى اللغة العربية فتعربت إلى الدرجة التي لا يشعر مستخدمها، الذي لا يهتم بتاريخ الكلمة بقدر ما يهتم بقدرته على استخدامها، بأنها أعجمية. بجانب أخرى لا نزال نحس بأعجميتها. وما تعرب منها أصبحت قابلة للاشتقاق كلفظة فيلسوف ومنها اشتقت فلسفة وفلسفي... وكلمة لغة ذات الأصل اليوناني... وهو أمر طبيعي يترافق مع التطور والاحتكاك بين الشعوب فكما دخل العربية بعض الألفاظ الأعجمية. فإن كثيراً من الألفاظ العربية دخلت إلى اللغات الأخرى (انظر قاموس المورد ـ لمنير بعلبكي).

وتهتم المعاجم بالألفاظ ودلالاتها وتطورها... لذا فإن الرجوع إلى المعاجم من الأمور بالغة الأهمية للكاتب. سواء المعاجم اللغوية العامة «كالمحيط»، و«لسان العرب»، و«المنجد» وغيرها... أم المعاجم المتخصصة في مجال من المجالات العلمية أو الفنية أو الأدبية. وبديهي أن الرجوع إلى أي من هذه المعاجم يعتمد على نوع الكتابة التي يتخصص بها الكاتب.

5 ـ الإعراب:

يقسم الكلام من حيث الإعراب إلى معرب ومبني. فالمعرب هو ما يتغير آخره بتغير موقعه من الجملة أو بتغير العوامل التي تسبقه. والمبني هو ما لا يتغير آخره بل يبقى على حال واحدة، وإن تغيرت العوامل التي تتقدمه، وأياً كان موقعه من الجملة.

والمعربات: من الأسماء كالمطر والعشب، والطفل... ومن الأفعال الفعل المضارع كما في: «يفعل».

أما المبنيات: فهي جميع الأحرف. وفعلي الماضي والأمر. أو ما اتصل به نون النسوة أو إحدى نوني التوكيد، وبعض الأسماء.

والأصل في الأفعال والحروف البناء. والأصل في الأسماء الإعراب. والإعراب هو التعبير عن أمر مغمض. فيقال «أعرب الرجل عن عواطفه» أي أفصح عما في نفسه من عواطف كامنة. وهنا يكون الإعراب إفصاحاً عن حكم الكلمة في الجملة اسماً كانت أم فعلاً أم حرفاً. وكلما كان الفهم صحيحاً للكلمة من خلال الجملة، أو النص. كلما كان الإعراب بمعنى معرفة حكم، وبالتالي حركة آخر الكلمة من رفع أو نصب أو جر، أو جزم، أكثر سلامة، وتوافقاً مع القواعد المتعارف عليها، والتي هي ذات أهمية بالغة في سلامة النطق أولاً، والكتابة ثانياً.

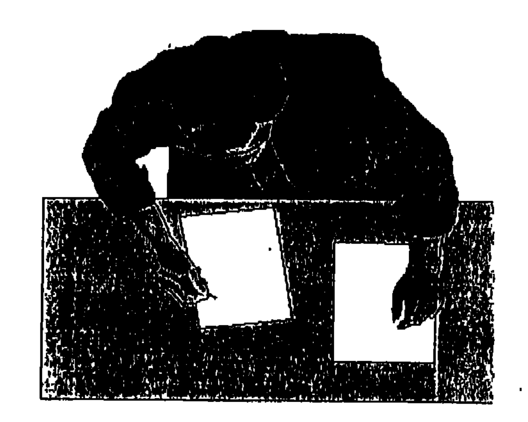
وليست المعرفة بقواعد وأحكام علوم اللغة هي الطريقة الوحيدة المؤدية إلى الكتابة الجيدة. بل إن ثمة طريقة لا نقول أنها بديلة، ولكنها لا بد أن تكون مرادفة لطريقة تعلم أصول وقواعد اللغة. ألا وهي طريقة تنمية السليقة السليمة. فالطفل يأخذ عادة لغته من بيئته التي ينشأ فيها. والعرب تحدثوا طويلاً بلغتهم دون أن يحتاجوا إلى تعلم أية قواعد أو أصول، حتى كان الاختلاط بالأقوام الأخرى التي دخلت في دينهم واستعربت. الأمر الذي أفسد لغة العرب أنفسهم، وانتشر اللحن بينهم. فكأن لا بد لهؤلاء المستعربين من أصول وقواعد يتعلمون عن طريقها لغة الدولة الجديدة والحضارة الجديدة. ولا بد لأبناء العرب المقيمين بين هذه الأقوام من مثل هذه الأصول والقواعد لتقويم ألسنتهم التي أصابها اللحن. فكان أن ظهر علماء أخذوا على عاتقهم هذا الأمر من أمثال أبي الأسود

الدؤلي، وجماعة النحويين البصريين والكوفيين وظهر منهم على الخصوص الخليل بن أحمد، والأخفش، وسيبويه وغيرهم. أما من كان يود أن يأخذ اللغة من مصادرها، فكان يلجأ إلى التوجه إلى جزيرة العرب ليعيش بينهم ويأخذ اللغة مباشرة من أفواههم، أي أن ينمي سليقته ويصقلها.

وليت وسائل الإعلام جميعاً، وخطباء المساجد، والمدرسين، وكل المتحدثين إلى العامة ولا سيما الصغار والناشئة، أن تعنى بالأمر أكثر وأكثر. انظر إلى الأطفال كيف يرددون الجمل التي يسمعونها في مسلسلات الكرتون التي تثير إعجابهم، وكيف أنهم ينطقونها كما سمعوها تماماً بالفصحى، وهم لما يتعلمون العربية الفصحى بل الكلام بالعامية. وكلما كانت الترجمة في ما يسمى «الدوبلاج» سليمة، كلما كان وسيلة بارعة في تكوين وتنمية السليقة السليمة للطفل. ولعل التشجيع على الإكثار من المسلسلات والتمثيليات والقصائد الغنائية الناطقة بالعربية السليمة، من الأمور التي لا بد أن تحظى باهتمام الأجهزة المعنية في جميع الأقطار العربية. وبرأينا أن هذا الأمر ليس فقط لتحسين ملكة الكتابة لدى من يود التوجه إلى مهنة الكتابة. وإنما هي وسيلة تطوير لتوحيد اللهجات المحلية باقترابها المضطرد من العربية الفصحى، وإن تم ذلك على المدى الطويل نسبياً، إلا أن الطريق الطويل، كما يقال، يبدأ بخطوة. فهل تبدأ هذه الخطوة؟!.

أما من يود اتخاذ الكتابة مهنة له، أو كانت الكتابة جزءاً مهماً في مهنته. ولا نعتقد أن أحداً لا يحتاج أن يكتب. بل إن كثيراً من المهن تعتبر

الكتابة بشكل أو بآخر جزء هام فيها كالموظف، والمحاسب، والمحامي، والطبيب، والمهندس، والصحفي، والإعلامي. . . وغيرهم كثير. كل يحتاج إلى استخدام الكتابة بصورة من الصور، بينما يكون الأمر أساسياً في الأعمال الأدبية على وجه الخصوص. نقول إن على هؤلاء جميعاً وخاصة الذين يعملون في المجالات الإعلامية والأدبية، أن يعملوا على زيادة معارفهم بأصول وقواعد اللغة، إضافة إلى تنمية سليقتهم بكثرة الاستماع، والقراءة، والتدريب ليكون لديهم الخلفية الكافية التي تمكنهم من الكتابة الجيدة بصورة أكثر يسراً واتقاناً. وليقدموا اللغة السليمة للأجيال الذين هم بحاجة إلى تنمية سليقة لغوية سليمة إلى أقصى حد ممكن.







الفصل السابع

التخصص في الكتابة

- تمهيد
- فوائد التخصص
- الإبداع والمبدعون
  - تمهيد
  - نظريات حول الإبداع
  - الشخصية الإبداعية
  - طرق اكتشاف الشخصية الإبداعية
  - العمر والإبداع
  - البيئة الملائمة للإبداع
  - تقنيات إثارة الإبداع
  - رعاية وتنمية الإبداع





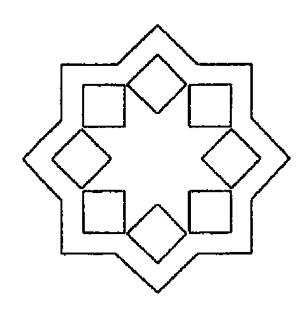
تمهيد

أصبح التخصص في مختلف أنواع الأعمال اليوم أمراً مفروغاً منه، بل ضرورياً لاكتساب الحذق والمهارة المهنية في هذا المجال أو ذاك. وليس الأمر في مجال الكتابة على غير ذلك. بل إن ثمة تخصص مفروض بحكم المجال الذي تستخدم الكتابة له. ففي الأمور التجارية هنالك بعض الأشكال والمفردات والأساليب المتبعة في الكتابة لخدمة هذه الأغراض. وهي تختلف عن الكتابة في مجالات أخرى كالكتابات الصحفية أو الكتابة في المجالات العلمية.

أما في المجالات الأدبية فللكتابة سمات وخصائص مميزة، أفرزت على الزمن تخصصات يمكن أن نذكر منها على سبيل المثال كتابة النثر، وقرض الشعر كنوعين متميزين من الكتابة الأدبية. فإذا أمعنا النظر في كل منهما ألفينا عدداً من الأغراض، ونجد عدداً لا يستهان به من الأدباء والشعراء قد تخصصوا في أحد أو بعض هذه الأغراض دون غيرها. ففي الكتابة النثرية، نجد القصة والمسرحية والرواية والقصة القصيرة وما استحدث من الكتابات كما في كتابة ما يدعى «سيناريو» وهو عبارة عن

الحوار والخلفية لتمثيلية أو «فيلم سينمائي» أو مسلسل تلفزيوني. . . كما نجد الرسائل والمقالات والمحاضرات. . . أما في الشعر فهنالك من يختص بالشعر العمودي التقليدي الملتزم. وهنالك من ينهج نهج ما يسمى بشعر التفعيلة، ومن ينهج ما يسمى بالشعر الحر أو المرسل والذي لا يتقيد بوزن أو قافية. أما من حيث الأغراض فمن الشعراء من تميز بالغزل كعمر بن أبي ربيعة، وأبي نواس، ونزار قباني من المحدثين. ومنهم من تميز بالشعر السياسي والوطني، وهم كثرة نذكر منهم عمر أبو ريشة، وإبراهيم طوفان وحافظ إبراهيم. . . ومنهم من تميز بالمديح، أو من تميز بالوصف. ونقول تميز ولا نقول تخصص لأن جميع الشعراء قالوا في عدد متنوع من الأغراض المعروفة للشعر من غزل ومديح، وفخر، ورثاء، وهجاء، ووصف، وغير ذلك. . . إلا أن ما اشتهروا به أكثر من غيره، هو ما قلنا إنهم تميزوا به. ولعل الانتماء إلى إحدى المدارس الفنية أو الأدبية من رومانسية، وواقعية أو رمزية أو غيرها هو من قبيل التخصص أيضاً.

فبم يفيد التخصص؟!. وما هي أهميته في الكتابة؟!.





فوائد التخصص

من أهم فوائد التخصص في الكتابة نذكر ما يلي:

1 - يتيح الفرصة لزيادة الاضطلاع في مجال التخصص.

2 - يزيد المهارة، ويصقل الموهبة، ويهيء للإبداع في مجال التخصص.

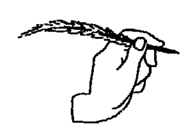
3 - يمنح الكاتب شهرة لدى شريحة من القراء المهتمين بما يختص به.

على أن التخصص لا يمنع من ممارسة الكتابة في عدد متنوع من الأغراض، عندما تكون هنالك حاجة، أو يرى الكاتب أن لديه ما يكتبه في هذا المجال أو ذاك. إلا أن ذلك يكون من قبيل التنويع، مع المحافظة ما أمكن على التخصص الذي أصبح سمة العصر. ذلك أن أحداً لم يعد قادراً على الإحاطة بكل الأمور في وقت واحد، كما كان الحال عليه أيام الحضارات القديمة. حيث تجد العالم يكتب أو يملي على تلامذته في شتى العلوم المعروفة في زمنه. فكثيراً ما تجد في تراجمهم «وكان، رحمه



الله، بارعاً في علوم الفلسفة والرياضيات والفيزياء والكيمياء والموسيقى والفلك». وليس من المستبعد أن يكون له كتابات أدبية أو قصائد شعرية أيضاً. وما ذلك إلا لمحدودية العلم آنذاك، واتساعه اليوم بشكل يستحيل على أي من البشر أن يكون لديه اضطلاع عميق شامل عليها جميعاً، على أننا نجد كثيراً منهم قد اشتهر بأحد المجالات حتى ليمكننا أن نقول أنه تخصص به، كبعض علماء اللغة. إلا أن تكون معرفة سطحية لعدد من هذه العلوم التي لها علاقة بعمله أو حياته، وقد يسمى ذلك وعي بالأمور الذي تختلف شدته وعمقه واتساعه من شخص لآخر. كما هو الحال فيما ندعوه الوعي السياسي، والوعي الاجتماعي، والوعي الصحي. . . أو ما ندعوه في أحيان أخرى بالخلفية الثقافية للفرد. وهي على نوعين ثقافة عامة، وثقافة خاصة. فأما الأولى فهي كما هو معروف الثقافة التي تتعلق بمجموعة القيم والأفكار والمعتقدات والعادات التي تسود في مجتمع ما. أما الثقافة الخاصة فهي ما يتعلق بثقافة الفرد التي تميزه عن غيره، والتي تشمل التحصيل العلمي والنضوج الفكري، المدعومة بنتائج التجارب المهنية والاجتماعية الخاصة بالفرد. . . إلخ.

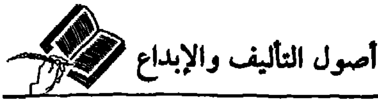
وكما أوضحنا أعلاه. فإن التخصيص يمكن أن يقود إلى الإبداع. فما هو الإبداع؟!. وهل من الممكن إثارته وتربيته؟!.



الإبداع والمبدعون

تمهيد:

يعرف الإبداع غالباً بأنه «شكل راق من النشاط الإنساني» أو «شكلاً من أشكال النشاطات الإدراكية الراقية» رغم أنه ظاهرة أو مجموعة من الظواهر المعقدة ذات وجوه وأبعاد متعددة. ومع ذلك فهو ضرورة للتقدم العلمي الذي يستلزم تطوير القدرات المبدعة لدى الفرد. ودلت الدراسات في مجال الإبداع على أن الإبداع لا يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمستويات مرتفعة من الذكاء، على عكس ما يظن بعض الناس، بقدر ما تتعلق بأسلوب التفكير ومواجهة المشكلات، والقدرة على إعادة ترتيبها بأكثر من شكل للوصول إلى أفضل الحلول لها. لهذا يؤكد الباحثون في مسألة الإبداع، على أن اختبارات الذكاء يمكن أن تلائم ذوي التفكير النمطي «الاتفاقي» والذي يتبع الأساليب المتعارف عليها لحل المشاكل. بينما يلائم الإبداع ذوي التفكير «الافتراقي» الذي يعمل بحرية واستقلالية أكبر، والذي يستطيع أن يعيد ترتيب المشكلة، ويعطي حيالها أكثر من إجابة. ورغم أن الإبداع: «نشاط يؤدي إلى إنتاج جديد، وذي قيمة، من أجل المجتمع».



إلا أنه ينظر إلى الإبداع أيضاً من حيث الأبعاد المتعددة له على أنه: «الوحدة المتكاملة لمجموعة العوامل الذاتية، والموضوعية التي تقود إلى تحقيق إنتاج جديد وأصيل وذي قيمة من قبل الفرد والجماعة».

نظريات حول الإبداع:

تعتبر دراسة الإبداع من الأمور المحدثة، لذا تجد عدداً من النظريات التي تبحث في مسألة الإبداع، كالنظرية الكشتالتية في الإبداع والتي تقول بأن: «الفكرة الجديدة تأتي عن طريق الحدس بصورة مفاجئة وليس عن طريق السير المنطقي». والنظرية السلوكية، والتي تقول: «بتعزيز الاستجابات المرغوب فيها تجاه المنبه ـ المثير ـ واستبعاد الاستجابات غير المرغوب بها». ونظرية التحليل النفسي، والتي تقول بأن: «العملية الإبداعية هي نتاج نشاط ما قبل الشعور أو الوعي. وأنه من الممكن تحريض اللاوعي، بينما يتولى الوعي التحسين والتقييم والنقد. . .» ونظرية السمات التي تستند أساساً إلى العقل. إلا أن «جيلفورد» أدخل إليها الخصائص الاستعدادية» أي التي لا تستند إلى العقل، كالطبع، والدافعية. وعدّد منها: «الطلاقة، والمرونة، والأصالة، والحساسية تجاه المشكلات وإعادة تشكيلها». ونظرية الاتجاه الإنساني والإبداع، والتي تؤكد على أثر: «احترام الإنسان، واعتباره قيمة القيم بأهدافه وحب اضطلاعه وإبداعه». وبصيغة أخرى «التحقيق الذاتي» مما يشكل شحنة دافعة نحو الإبداع. ويتحدث بعضهم عن الصحة الإنسانية جسدياً وعقلياً ونفسياً. ما يرى بعضهم أنه لا بد من التلازم والتوافق بين ما هو داخلي «طبيعة فطرية» وما هو خارجي «الشرط الاجتماعي» كي يظهر

الاستعداد إلى العيان حيث يتطور إلى استعداد نشط خاص بالموهبة والعبقرية الإنسانية.

وفي محاولة لتحديد المراحل التي تتم بها عملية الإبداع، يعطينا «والاس» أربعة مراحل هي:

1 ـ **الإعداد والتحضير**: وهو نوعان. تحضير عام كالتخصص في أحد الفروع العلمية «هندسة، طب تجارة، حقوق، فنون، آداب. . .» ونرى أنه يشمل أيضاً الثقافة العامة التي يتمتع بها فرد ما. وتحضير خاص في مواجهة مشكلة أو فكرة ما. وهو ما يستلزم البحث والمطالعة والاضطلاع على الأبحاث السابقة حول الموضوع، والاتصال في المجال نفسه بصورة دقيقة وجدية.

2 ـ **البزوغ**: وقد تستمر هذه المرحلة فترة طويلة، وقد لا تحتمل إلا لحظات قليلة. وفجأة يظهر الحل. على أن بعضهم لا يعتبر هذه المرحلة ضرورية، بينما يعرض آخرون ترتيباً آخر لهذه المراحل.

3 ـ **الحدس**: وهي المرحلة التي تصل فيها العملية الإبداعية إلى الذروة حيث تظهر الفكرة فجأة. وتشكل هذه المرحلة مع المرحلة السابقة لدى بعضهم مرحلة واحدة.

4 ـ **التحقيق**: وهي المرحلة الأخيرة التي تتضمن تطوير المادة الخام التي تم الحصول عليها فيما مضى فيتم نقدها وتحليلها

والتأكد من صحتها. وهو ما قد يأخذ وقتاً طويلاً نسبياً، بحسب الحالة. ففي حالة الإبداع العلمي قد تأخذ الاختبارات اللازمة للتحقق من منتج طبي مثلاً سنوات عديدة حتى يسمح أو لا يسمح بتداول نتائج العملية الإبداعية. أما في الجانب الفني للإبداع فقد تكون مسألة التحقق أسرع فبمجرد الاضطلاع على النتاج الإبداعي لعمل أدبي أو لوحة أو قطعة موسيقية يمكن للنقاد والمضطلعين على العمل أن يقيموه.

الشخصية المبدعة:

ومن جهة أخرى جرت أبحاث عديدة لاكتشاف الشخصية الإبداعية، وما الذي يفترض أن تكون عليه من سمات عقلية ونفسية، والعمر الأنسب للإبداع، وعن الإبداع العام والإبداع الخاص، أو الإبداع الجماعي والإبداع الفردي. إلا أنها لم تخرج عما تم عرضه من نظريات، إلا في مسألة التفريق بين الشخصية العلمية والشخصية الفنية. فقد يكون مستوى الذكاء المطلوب في مجال العلمي ولا سيما في مجال الرياضيات أعلى نسبياً منه في المجال الفني والذي يفترض وجود حد أدنى أيضاً من الذكاء. إلا أن ثمة عوامل شخصية مشتركة بينهما، تم الإشارة إليها سابقاً. وأخرى خاصة بالإبداع الفني كالاستعداد الفني الخاص.

طرق اكتشاف الشخصية المبدعة:

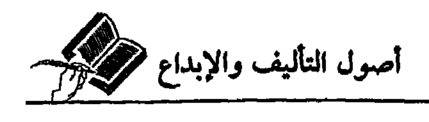
إذا كانت اختبارات الذكاء غير ملائمة تماماً لاكتشاف الشخصية المبدعة، حيث إن حداً أدنى من الذكاء إضافة إلى استعدادات أخرى هي

العوامل المكونة للشخصية الإبداعية. فهل يمكن الاعتماد على الدرجات التي يحصل عليها الطالب في المدرسة، والربط بين المتفوقين وشروط الإبداع. وما هي الطرق الأخرى لاكتشاف الشخصية المبدعة مبكراً، حتى يمكن رعايتها وتربيتها؟!.

عمد بعض الباحثين في مجال الإبداع على إعداد اختبارات أكثر ملاءمة من اختبارات الذكاء، ومن اختبارات المدرسة، بقصد اكتشاف المبدعين مبكراً. تعتمد إلى اكتشاف العوامل الشخصية الأخرى التي يتوقع في حال توفرها أن تؤدي إلى الإبداع. كأن تبين هذه الاختبارات مدى الاستقلالية في التفكير، ومدى توفر الاستعدادات اللاعقلية، ومدى القدرة على إعادة تركيب المشكلة، والوقت المستغرق في الإجابة (حل المشكلة). كما أن التاريخ «البيوغرافي» والذي يبحث عن إنجازات الفرد خلال حياته الماضية يمكن أن يؤدي إلى التنبؤ بأن يكون مبدعاً يوماً ما. إلا أن الاختبارات الورقية لم تثبت حتى اليوم إلا دليلاً ضعيفاً في هذا الصدد. والأمر مع ذلك لا زال قيد البحث والتطوير... وليس بعد ما هو ثابت أو مؤكد في مجال الاكتشاف المبكر للشخصية المبدعة.

العمر والإبداع:

وفيما يتعلق بالعمر فدلت الأبحاث الخاصة بذلك على أنه ليس هنالك عمر محدد بصورة صارمة. فالإبداع ممكن بين السنوات (25 ـ 85) من العمر. أما ذروته فهي ما بين السنوات (30 ـ 40) فالعوامل الإبداعية، من ذكاء، ومرونة العمليات العصبية «الإثارة والإرجاع» تظل تنمو قبل ذلك ثم ما تلبث أن تعود للتناقص بعد هذا العمر.



أما المناخ الملائم للإبداع، ولكي تعطي هذه الشخصية النتاج المبدع، فمن الأهمية بمكان التعرف عليه. لذا سنعرض فيما يلي شيئاً عنه بإيجاز وما أمكن من الوضوح.

البيئة الملائمة للإبداع:

يرى بعضهم أن الإبداع ليس خاصية ثابتة للشخصية، وإنما هو أمر متغير يرتفع ويهبط بفعل تأثير الظروف المحيطة بالفرد، من عوامل اجتماعية، وثقافية، وظروف عمل، وغير ذلك. وليس العامل الاجتماعي التاريخي والذي دعاه «إينتشين» أيضاً «بروح العصر» ببعيد عن فعل تأثيره في شخصية الفرد المبدع. ومن أهم الظروف المحيطة بالفرد وذات التأثير الكبير في مسألة الإبداع هذه، ظروف المدرسة، والأسرة، والعمل. وبالنسبة للأطفال، فإن كلاً من الأسرة، والمدرسة، لهما من التأثير ما ليس لغيرهما. ففي الأسرة يمكن للطفل الذي ينشأ في جو من الحرية والاستقلالية في التفكير، دون التعرض للإكراه أو ما شابه، أن يكون ذا حظ أكبر من غيره في أن يكون لديه سلوك إبداعي. كما أنه في المدرسة ثمة حالات ومواقف تقود إلى تطوير روح البحث والتفكير الإنتاجي المنطلق. ومنها تشجيع الطلاب على طرح الأسئلة، وحثهم على إيجاد الأفكار الحسنة، وعلى المناقشة والنقد البناء...

وحتى في التعليم العالي كما في التعليم الثانوي، فإن للعلاقة بين الطالب والأستاذ تأثير بالغ الأهمية في دفع الطالب نحو السلوك الإبداعي، أو العكس. فالأساتذة الميسرين والذين يتيحون المجال للطلاب أن يطرحوا أية أسئلة تخطر على بالهم ولا يتقيدون بالوقت المحدد للدرس،

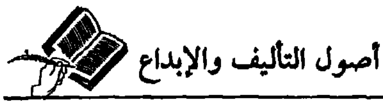
يكون لهم تأثير إيجابي كبير في مسألة دفعهم نحو السلوك الإبداعي. وعلى عكس الأساتذة الذين يتصفون بضيق الصدر، والنقد المبالغ فيه، وحصر الاهتمام بأمور الاختصاص الدقيق، أو بقلة الثقافة، والصلابة، والفوضوية... فإنهم معوقون لنمو السلوك الإبداعي لدى طلابهم.

تقنيات إثارة الإبداع:

طور العلماء المهتمون بالإبداع، ما يسمى بتقنيات إثارة الإبداع، أي حفز إنتاج الأفكار الإبداعية. أهمها:

1 ـ طريقة العصف الذهني (السينكتيك): وهي طريقة أسسها «أوزبون» من أجل توليد الأفكار الجديدة في دار النشر الأمريكية التي كان يديرها. أو ما يمكن تسميته «تجاذب الأفكار». وتعتمد على الفصل المصطنع بين توليد الأفكار وتقويمها. وهي تعتمد على مقولة مفادها أننا نملك طاقات باطنية أكثر بكثير مما نعتقد، إلا أننا لا نستطيع إظهارها إلا في حالة الانعتاق من القيود.

وتطبق هذه الطريقة على ثلاث مراحل (جلسات): هي: الأولى تخصص لعرض المشكلة وتحليلها وتبويبها. فالمرحلة الثانية لتصور الحلول ويفضل أن يكون عدد من فيها من الحاضرين ما بين (10 ـ 12). وبعد ذلك يتم الانتقال إلى المرحلة الثالثة التي تخصص للتقويم، ويفضل أن يكون عدد الحاضرين فيها فردياً، وأن يكون أحدهم رئيساً للجلسة يختار على أساس توفر خصائص لديه، كالقدرة على المماحكة والابتكار، وخلق الجو المناسب، والغنى بالأفكار والمعلومات. كما ينتقي الأعضاء



أميناً للسر. ولا تدون أسماء المتحدثين أو من يقدمون أفكاراً مختلفة. ويكون ثمة اثنين أو ثلاثة ممن لهم اتصال بالمشكلة. أما البقية فيكونون بعيدين عنها، ويقتصر دورهم على الإيحاء بالأفكار الغريبة عن المشكلة... ويستبعد النقد ويتم تقبل أي فكرة حتى الخيالي منها. أما عن مدة الجلسة فهي ما بين (15 ـ 60) دقيقة. وهي على كل حال لا تستعمل للمشاكل التي تتطلب محاكمة عقلية أو تتطلب اتخاذ قرار. وإنما للمشكلات المتعلقة بالإعلانات التجارية، أو ما شابه.

وهنالك طرق أخرى لحفز الإبداع تعتمد على التفتيت، وإعادة التركيب. وهنالك طرق «المترابطات، والاستكشاف»، وكلها تعمل على إيجاد الحلول المتناوبة والأفكار المتتالية وليس حل المشكلات الجديدة التي تسهم في معرفة ظاهرة ما، أو فحص مبدأ أو أساس أو طريقة...

2 ـ **طريقة الحوار**: وهي نوع من التعاون الجماعي من أجل إعداد مسائل تعين على إيجاد أسس، أو طرق، أو فحص مبدأ أو معرفة ظاهرة ما...

ويعتقد بعضهم أن ثمة ما يساعد على زيادة فعالية الحوار، بما يضمن تعاون الجماعة بهدف إيجاد الحلول الإبداعية. ويرتبط نجاحها بخصائص أعضاء الجماعة والرئيس «المحرك» لها. بحيث على العضو أن يقف موقف الباحث المدقق، وأن تناقش الآراء بالتفصيل، بعد أن تكون المشكلة محضرة بصورة جيدة، ولا بد أن يكون للأعضاء ارتباط مهم في المشكلة. ومن العوامل المؤدية إلى نجاح الطريقة، تمتع الأعضاء بقدرة على ضبط النفس، والمرونة، والوضوح في التعبير... وهي أمور تصقلها

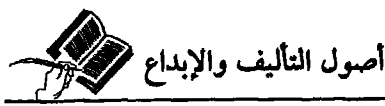
التجربة. أما المظاهر السلبية في هذه الطريقة هي في لجوء بعض الأعضاء إلى الإطالة في الشرح، والمقاطعة، وحب الظهور، وعدم الالتزام بأصول التحاور. وهنا يكون دور المحرك «مدير الجلسة» دور هام في إعادة الحوار إلى وضعها السليم. «انظر كتابنا: الحوار. لغة الضعفاء؟!. أم الأقوياء؟!. الصادر عن دار الراتب الجامعية للطباعة والنشر ـ بيروت».

ويختلف حجم الجماعة ما بين (6 ـ 20) يجلسون على طاولة دائرية أو نصف دائرية ويعين أمين سر للجلسة ويفضل وجود ميكروفون، ويسجل المدير ملاحظاته... ويمكن أن يكون العدد المقبول أيضاً بين اثنين إلى ثلاثة. يماثلون في الاهتمامات والخصائص العقلية والشخصية، ومن ذوي المؤهلات العالية، يعقدون اجتماعاتهم دون حاجة إلى مدير. أما الوقت المناسب للجلسة فهي من (نصف ساعة إلى ساعتين) مع فترات للراحة سيما عند امتداد الفترة إلى مدة أطول من ذلك.

وهنالك ما يدعى بجلسة المترابطات التي يمكن أن تمتد إلى ثلاث ساعات. حيث يكون عدد الكراسي أقل من عدد المشتركين بواحد يظل واقفاً حتى يخرج أحد الجالسين لسبب ما، ويرى بعضهم أن الحلول الجيدة تأتي في آخر الجلسة عندما يحل التعب على المشتركين.

رعاية وتنمية الإبداع:

ثمة دراسات وأبحاث لكنها جميعاً لا زالت في طور التجربة. إلا أن بعض الأفكار والملاحظات حول الإبداع تشير إلى أن الشخصية المبدعة تنمو عبر تاريخ طويل يبدأ في الطفولة. ويكون لهذه الشخصية سمات



أهمها: ظهور الاستقلالية، وحب الاضطلاع، والحيوية، والتصوير الفني، والاتجاه نحو النشاط والبحث، والحاجة إلى النجاح والتقويم. . . وغير ذلك. تعتبر من المحركات الأولية لأي إنتاج إبداعي أصيل عندما يتم بصورة تلقائية عند الطفل. قد ظهرت نظريات حول تربية وتنمية الإبداع في مراحل الدراسة المختلفة. إلا أن الأهم تلك الأبحاث لاختبار الأسس والطرق مثل: التعليم عبر حل المشكلات، والتعليم عبر المشاريع، وعبر البحث. . . والتي تشكل عامة أشكالاً من التعليم الاستكشافي. فحسب هذه الطرق، يتولى التلميذ رؤية المشكلة من وجهات نظر مختلفة، فيقوم بتفسيرها وبحث الحلول لها بكل استقلالية. وهي طرق تكرس لدى التلميذ أو الطالب روح البحث، وتمنحه زيادة من الثقة بالنفس. وعلى كل حال فتربية الإبداع يعتمد بصورة كلية على دور المعلم أو المدرس ومدى إعداده ليقوم بهذه المهمة بمعرفة كافية، وصبر، ومثابرة. . . كما يجب أن تعد الدروس بطريقة مفتوحة، تسمح أن يتولى الطلاب التفكير في المسائل المطروحة واقتراح الحلول لها بصورة حرة ومستقلة، ودون خوف من الوقوع في الخطأ. كما تشير الأبحاث إلى ضرورة التركيز على مرحلة التعليم المتوسط، وأن يتم توجيه الطلاب في سن المراهقة إلى التخصص حسب مواهبهم وميولهم. فإن ذلك مما يساعد على التعامل مع الأمور بحب. ويجعل التوجيه إلى دوام الممارسة والتدريب أمرين ممكنين. إذ هما يشكلان مع العوامل الأخرى عوامل مهمة في النجاح والإبداع.

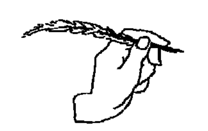
الفصل الثامن

أهمية التشجيع في تقدم الكتابة

- تمهيد
- درر. وأقوال في العلوم في العلم والأدب





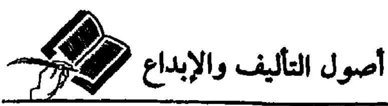


تمهيد

عرف الأدب والشعر منه بصورة خاصة كل تشجيع من الملوك، والزعماء العرب منذ القديم. وأثنى الرسول (ص) على الشعر واعتبره ديوان العرب، كذلك كان أمر الخلفاء الراشدين في صدر الإسلام. ثم ما لبث الخلفاء من أمويين، وعباسيين، وفاطميين، وملوك الطوائف، وملوك الأندلس يشجعون الأدباء والشعراء والكتّاب في شتى العلوم والفنون ويجزلون لهم في الأعطيات ويولونهم المناصب. . . حتى إن كثيراً من الشعراء والكتّاب والعلماء كان يهدي كتاباً ألفه لأحد هؤلاء الملوك والخلفاء طمعاً في تقديره بأعطية ثمينة، أو مركز مهم في الدولة أو الحاشية. . .

وللشعر لدى العرب أهمية خاصة، فهو وسيلة الإعلام التي تؤمن للشاعر الشهرة وللعشيرة التي ينتمي إليها الفخر والصيت الذائع. فإذا ما حصل اعتداء أو مس بكرامة العشيرة، انبرى شاعرها للمعتدي يهجوه، ويقلل من شأنه، ويرفع من شأن قومه. . .

ولما ولي أمر العرب ملوك وسلاطين وحكّام من غير العرب



كالمماليك والترك. . . تراجعت الكتابة في الأدب والشعر وكافة الفنون والعلوم. وأخذ بعضهم يكرر ما جاء به الأقدمون، أو يحاول أن ينسج على منوالهم دون أي إبداع أو تجديد. . . وانقطع العلماء والكتّاب والفنانون عما يدور حولهم في هذا الفلك الصغير من مستجدات، وتطورات. وتراجع العلم والتعلم. فأصبح من يعرفون القراءة والكتابة معدومين في كل بلدة أو مدينة. فإذا بالعربية تتراجع إلى الحضيض.

ثم ما لبثت بوادر النهضة تأخذ طريقها إلى العرب في أوائل القرن التاسع عشر فظهرت الجمعيات والنوادي العلمية والأدبية والسياسية. . . وكان لظهور فن الطباعة الحديثة دَوْر في ظهور دُور «مؤسسات» للنشر، وعدد من الجرائد والمجلات، وبدأت إعادة طباعة الكتب القدية ذات القيمة العالية. . . وهذا ما شجع بعض الكتّاب على الكتابة، ثم أخذ بعد الحكّام الذين انقلبوا على الحكم العثماني في ابتعاث البعثات إلى الخارج، وفي فتح المدارس العالية. . . حدث ذلك في مصر أيام محمد علي الكبير، ثم في الشام وغيرهما لاحقاً. . . إلى أن عاد الحكم في الأقطار العربية إلى أيدي أبناء هذه الأقطار، وأصبح هنالك متعلمون على نطاق أوسع يوماً بعد يوم. وزاد عدد الصحف والمجلات المتخصصة وغير المتخصصة. وزاد عدد دور النشر التي تصدر ألواناً متنوعة من الكتب، سواء منها ما هو إعادة لما كتب قديماً، أو ما تم شرحه أو التعليق عليه لاحقاً، أو ما تم كتابته حديثاً في شتى فروع العلوم والفنون والآداب. . . إلخ.

ونرى اليوم، هذا الانتشار الكبير، وهذا الإنتاج الواسع، للكتب من

شتى الألوان والأنواع. وهذا العدد الكبير في المكتبات الخاصة والعامة. وهذا التشجيع للإبداع والإنتاج العلمي والفني والثقافي بشكل عام. كل ذلك بسبب التشجيع الذي توليه الحكومات من جهة، وللتشجيع الذي يلقاه الكاتب الجيد من مؤسسات النشر والقراء...

ولكن هل نحن فعلاً نوجه التشجيع الكافي والملائم لهؤلاء المبدعين في مجال من المجالات العلمية أو الأدبية أو الفنية أو الثقافية بصورة عامة؟. أعتقد أن الأمر لا زال يحدث، ولكن بصورة عشوائية وغير مخططة. والمطلوب أن يتم التشجيع بموجب خطة عامة وشاملة. يوضع لها أهداف عامة، وأهداف تفصيلية لكل فرع من فروع المعرفة والأدب والفن. ثم يتم اختيار أفضل الوسائل التي يمكن بواسطتها تحقيق هذه الأهداف. وعلى أن يشمل ذلك رعاية البراعم والناشئين والمبتدئين... إضافة إلى الكتّاب الذين رسخوا أقدامهم في هذه الأوساط.

فمن أجدر بتولي هذه المهمة؟. هل هي وزارة الثقافة؟. أم التعليم والتعليم العالي؟. أم اتحاد الكتّاب العرب والجمعيات العلمية ومراكز البحث العلمي؟. أم دور النشر؟. أم من؟. قد تكون الإجابة كل هؤلاء، وقد يكون ثمة آخرون... ليس هذا هو المهم. فالأمر يمكن التوصل فيه إلى حل عندما تكون هنالك رغبة حقيقية في أن نكون على مستوى العصر، وليس أن نبقى واقفين على هامشه، ننظر وننتظر، دون أن نعرف إلام ننظر ولا ماذا ننتظر.

درر.. وأقوال.. في العلم والأدب

نورد فيما بعض ما قيل في العلم والأدب وفضل العالم والمتعلم:

قال تعالى: **﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾** وقال تعالى: **﴿يرفع الله الذين آمنوا وأولي العلم درجات﴾**.

وقال عليه السلام: «تعلموا العلم، فإن تعلمه لله حسنة، ودراسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وطلبه عبادة، وتعليمه صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنه معلم الحلال والحرام، وبيان الجنة، والمؤنس في الوحشة، والمحدّث في الخلوة، والجليس في الوحدة، والصاحب في الغربة، والدليل على السراء، والمعين على الضراء، والزين عند الأخلاّء، والسلاح على الأعداء، وبالعلم يبلغ العبد منازل الأخيار في الدرجات العلى، ومجالسة الملوك في الدنيا، ومرافقة الأبرار في الآخرة، والفكر في العلم يعدل الصيام، وبالعلم توصل الأرحام، وتفصل الأحكام، وبه يعرف الحلال والحرام، وبالعلم يعرف الله ويوحّد، وبالعلم يطاع الله ويعبد». وقال عليه السلام: «خير الدنيا والآخرة مع العلم، وشر الدنيا والآخرة مع الجهل». وعنه عليه السلام أنه قال: «يوزن مداد العلم، ودماء

الشهداء، يوم القيامة فلا يفضل أحدهما عن الآخر، ولغدوة في طلب العلم أحب إلى الله من مائة غزوة، ولا يخرج أحد في طلب العلم، إلا وملك موكل به يبشره بالجنة، ومن مات وميراثه المحابر والأقلام دخل الجنة». وقال علي كرم الله وجهه: «أقل الناس قيمة أقلهم علماً». وقال أيضاً: «العلم نهر، والحكمة بحر، والعلماء حول النهر يطوفون، والحكماء وسط البحر يغوصون، والعارفون في سفن النجاة يسيرون». وقال عليه السلام: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم». وقال: «اطلب العلم من المهد إلى اللحد». وقال أيضاً: «اطلب العلم ولو في الصين». وقال علي كرم الله وجهه: «من نصّب نفسه للناس إماماً، فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل غيره، وليكن تأديبه بسيرته، قبل تأديبه بلسانه». وقال عليه السلام: «هلاك أمتي في شيئين: «ترك العلم، وجمع المال». وسئل عليه السلام عن أفضل الأعمال فقال: «العلم بالله والفقه في دينه». وقال: «إن العلم ينفعك مع قليل من العمل، وإن الجهل لا ينفعك مع كثير من العمل». وقال عيسى عليه السلام: «من علم وعمل عدّ في الملكوت الأعظم عظيماً». وقال الخليل عليه السلام: «العلوم أقفال، والأسئلة مفاتيحها». وقال عليه السلام: «ما آتى الله أحداً علماً إلا أخذ عليه الميثاق أن لا يكتمه أحداً».

وقيل: «العلم في الصغر كالنقش في الحجر». وعن لقمان أنه قال: «جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بماء السماء». وقيل: «من عرف بالحكمة، لاحظته العيون بالوقار». وقيل:

«العلم أنفس شيء أنت داخره … من يدرس العلم لم تدرس مفاخره
أقبل على العلم واستقبل مقاصده … فأول العلم إقبال وآخره»

وقيلَ أيضاً:

«تعلّم إذا ما كنت لست بعالم … فما العلم إلا عند أهل التعلّم
تعلّم فإن العلم أزين للفتى … من الحلّة الحسناء عند التكلّم»

وقال أحدهم في نصيحة قدمها له وكيع بن الجراح:

«شكوت إلى وكيع سوء حفظي … فأرشدني إلى ترك المعاصي
وذلك أن حفظ العلم فضل … وفضل الله لا يؤتى لعاصي»

وذلك أن على المرء أن يستفيد من العلم نقاء وسلوكاً حميداً. وإلا وقع فيما حذر منه الشاعر بقوله:

«إذا لم يزد علم الفتى قلبه هدى … وسيرته عدلاً وأخلاقه حسنا
فبشره أن الله أولاه فتنة … تغشيه حرماناً وتوسعه حزنا»

وقيل من خدم المحابر، خدمته المنابر. ولكن لا بد للعلم من ستة خصائل كما يقول الشافعي رحمه الله:

«أخي لن تنال العلم إلا بستة … سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة … وصحبة أستاذ وطول زمان»

وقيل في التشجيع على اكتساب العلم:

«كن ابن من شئت واكتسب أدباً … يغنيك محموده عن النسب

إن الفتى من يقول ها أنا ذا ليس الفتى من يقول هذا أبي»

وقيل:

«لكل شيء زينة في الورى وزينة المرء تمام الأدب

قد يشرف المرء بآدابه فينا وإن كان وضيع النسب»

أما عن الشعر وأغراضه، فمنهم من قسّمه إلى خمسة أقسام، ومنهم إلى عشرة، وأكثر ما قسمت أغراض الشعر إلى ثمانية عشر قسماً هي: الغزل، والوصف، والفخر، والمديح، والهجاء، والعتاب، والاعتذار، والأدب، والزهد، والخمريات، والمراثي، والبشارة والتهاني، والوعيد، والتحذير، والتحريض، والملح، وفي السؤال والجواب. ويظهر مما سبق أن أغراض الشعر تلامس جميع أغراض الأدب تقريباً. ومن الشعر ما يكون مرقصاً، أو مطرباً، لما بهما من موسيقى. أو مقبولاً، أو مسموعاً، لما بهما من أفكار أو صور أو حسن في النظم... أو متروكاً إذا كان ثقيلاً على السمع.

ومن دعائه عليه السلام: «اللهم إنا نعوذ بك من قلب لا يخشع، وعين لا تدمع، علم لا ينفع».

ومن النصائح التي يمكن أن تساق لطالب العلم في هذا السياق:

ألا يغتر المتعلم بعلمه مهما بلغ، وعليه أن يتذكر دائماً أن: «فوق كل ذي علم عليم». وأن التواضع من أخلاق العلماء، وأن لا يستحيي من قول لا أعلم فقد قالها قبله علماء كالشافعي وأمثاله، وقبلهم قالت الملائكة: «سبحانك لا علم لنا إلا ما علّمتنا». وأن لا يبخل بعلمه على

أحد إذا سأله، أو وجده بحاجة إلى بذل العلم له لإصلاح شأنه تبرعاً. على أن على العالم أن يحترم نفسه فلا يبتذل ولا يشتري بعلمه ثمناً بخساً. وأن يكون قدوة لغيره في السلوك والتصرفات. كما يطلب من العالم الجرأة في الحق، ألا يخشى في علمه ومناصرته للحق لومة لائم.

وأما عن البيان فنورد ما يلي من أقوال:

في الحديث الشريف: «أن من البيان لسحراً».

ومما قيل في الرأي، وصاحب الرأي لا يكون كذلك من غير علم وحكمة:

«الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المكان الثاني»

قيل أن رجلاً تكلم بين يدي المأمون فأحسن فقال المأمون: «ابن من أنت» قال: «ابن الأدب» فقال المأمون: «ونعم النسب انتسبت إليه». وقيل: «الفضل بالعقل والأدب، لا بالأصل والنسب».

وقال تعالى: **﴿الرحمن علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان﴾**.

وهكذا...

نرى كم من الأقوال التي تبين أهمية العلم والأدب في شتى ألوانهما ومراميهما وأغراضهما، ومدى التقدير للعلماء والأدباء أياً كانت اهتماماتهم، وألوان الكتابة التي ينتجون. والتي تم إيرادها على سبيل التشجيع على الإقبال على العلم والأدب، سواء بالبحث والكتابة، أو بالقراءة والتثقف.

على أننا نرى أيضاً، أن التشجيع في غير محله، كما هو الأمر مع

أي شيء يوضع في غير محله، لن ينفع في شيء. فما هي الظروف التي يمكن أن يفيد التشجيع فيها؟.

لا بد أن يقع التشجيع، ليكون نافعاً، على موهبة طبيعية أولاً. ثم استعداد ورغبة جامحة في الكتابة. ثم استعداد للصبر، والاجتهاد في البحث والمطالعة المتأنية الواعية المستوعبة، ثم الإقبال على التجربة والممارسة والمحاولات المتسمرة، وتقبل النقد بصدر رحب، والسعي الحثيث للتحسين والتطوير المستمرين...



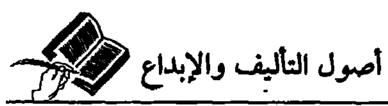


الفصل التاسع

الترجمة.. مشكلاتها، ودورها التثقيفي

- تمهيد
- مشاكل الترجمة
- أهمية الترجمة ودورها التثقيفي



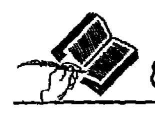






تمهيد

منذ القدم وحتى اليوم، والترجمة تلعب دوراً هاماً في نقل الأفكار، والرسائل بمعناها العام، والتواصل بين المجتمعات المختلفة. فلا يكاد أحد يستغني عنها في تعاملاته الخارجية. سواء كان تاجراً، أم سائحاً، أم باحثاً أم غير ذلك. . . فلا تكاد تجد كتاباً تضمه رفوف أي مكتبة لا يتضمن مسرداً بالمراجع الأجنبية، إضافة إلى المراجع الأجنبية. إن لم يتضمن أيضاً مسرداً للمصطلحات الأجنبية وقد شرحت بالعربية. ولا يغفل عن البال ما للفروق الحضارية بين الشعوب والتي تتفاوت بين حقبة وأخرى، من خلق ضرورة ملحة للمجتمع الأقل تقدماً، إلى ترجمة ما يصدر من نتاج فكري، وتقني، وثقافي لدى المجتمع الأكثر تقدماً. وتشهد فترات النهوض الحضاري لدى المجتمعات، اهتماماً كبيراً بترجمة كل ما نتج في الماضي من نتاج حضاري لدى المجتمعات الأخرى. كما حصل في العهدين الأموي والعباسي من عمر الحضارة العربية الإسلامية. وكما حصل في القرن السابع عشر والثامن عشر لدى المجتمعات الأوروبية من ترجمة المؤلفات العربية إلى اللغات اللاتينية ثم إلى اللغات



الأوروبية السائدة آنذاك. والتي كانت لدى كلا الحضارتين، أولى الخطوات نحو التقدم، والابتكار، والإضافة، والإبداع.

ورغم ما تؤديه أنظمة التعليم المختلفة من دور هام في تعليم اللغات لغير الناطقين بها. إلا أن مسألة الترجمة تبقى لها مشاكلها التي يمكن أن نختصر أهمها فيما يلي:

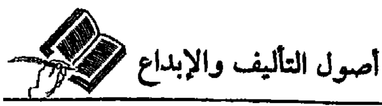


مشاكل الترجمة

تكمن مشكلة الترجمة الرئيسية أولاً في المترجِم، ومدى استيعابه لكلا اللغتين استيعاباً تاماً من جميع النواحي، كالصرف والنحو والمعاني والتراكيب ذات البعد الاجتماعي. . . ثم في مدى استيعابه لمواد التخصص التي يود الترجمة في مجالها وبالتالي المصطلحات المستخدمة في التعبير عنها. وهكذا.

ومن قراءة لآخر النظريات التي طلع علينا بها نفر من علماء اللغة مؤخراً، سعياً وراءه الانطلاق إلى أبعد من حدود اللغة وبنيتها النحوية، والصرفية، أو تركيبها الصوتي وحتى الدلالي. بحيث يضيف إليهما جميع الأبعاد الأخرى متجاوزاً حتى ما يدعى بعلم اللغة الاجتماعي لتشمل كافة جوانب الحياة تقريباً. وهو ما أصبح يدعى «أثنوغرافيا» التواصل، حيث تتلخص عملية التواصل بالعناصر التالية:

1 - الموقف: وهو الظرف الذي يحدث فيه التواصل كإحدى الحصص في فصل دراسي أو محاضرة أو اجتماع، أو حالة سفر في إحدى الحافلات. . .



2 ـ **الحدث التواصلي**: وهو الذي يتألف الموقف اللغوي المشار إليه أعلاه من عدد منه. وتتألف بعض المواقف من عدد متوقع من الحوادث التواصلية، بينما تتألف مواقف أخرى كاللقاءات العادية من أحداث تواصلية من غير الممكن التكهن بها.

3 ـ **الفعل التواصلي**: وهو عبارة عن الأقوال التي يتألف منها الحدث التواصلي.

ويتم التركيز اليوم على تحليل الأحداث التواصلية التي وجد أنها تتكون من التالي:

1 ـ **نوع الحدث**: حوار، قصة، مقالة. . .

2 ـ **موضوع الحدث**: تجارة، دين، سياسة، طقس، . . .

3 ـ **الغرض**: أي الوظيفة التي يؤديها الحدث، والوظائف الفرعية للأقوال التي تصدر عن المتحدثين.

4 ـ **المناسبة**: وتشمل الزمان تاريخاً وتوقيتاً، والمكان، ومحتويات المكان. . .

5 ـ **المشاركون**: وكل ما يخصهم من أعمار وأجناس وانتماءات وأوضاع اجتماعية وعلاقات بعضهم مع بعض.

6 ـ **الصيغة**: ويشمل اللغة أو اللغات واللهجة أو اللهجات التي يتم بها الحديث، وكذلك الأشكال اللغوية وغير اللغوية المرافقة.

7 ـ **المحتوى**: ويشمل المعاني والأحاسيس والأفكار التي تقوم الرسالة بنقلها.

8 ـ **التسلسل**: من حيث تسلسل الأقوال وكيفية أخذ المتحدثين أدوارهم. . .

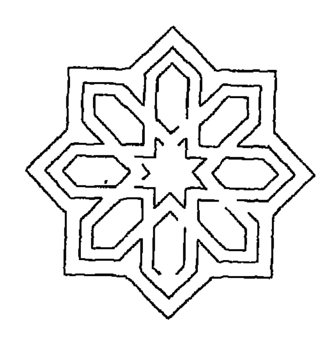
9 ـ **قواعد التفاعل اللغوي**: أي الأصول الاجتماعية التي لا بد من مراعاتها، والتي تختلف باختلاف المتكلمين، وأعمارهم، وأجناسهم، وعلاقاتهم. . .

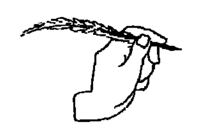
10 ـ **التفسير**: ويشمل المفاهيم التي على أساسها يتم تفسير الأقوال، كالمعتقدات والأمور الحضارية الأخرى المشتركة بين أفراد المجتمع. حيث تساعد معرفتها على حسن تأويل وفهم الكلام على حقيقته التي أريد بها أصلاً من قبل المتحدثين.

لا شك أن الأسلوب الذي يتم فيه التواصل اللغوي الذي يتم بين أفراد مجتمع ما، كثيراً ما يختلف عنه في مجتمع آخر. ولعل فهم ذلك بصورة جيدة من الأمور المساعدة في ترجمة ما يقال بلغة قوم إلى لغة قوم آخر. وكمثال على ذلك يمكننا أن ننظر إلى الطريقة التي نتعامل بها في مناسبات محزنة، من نقل خبر عن مرض عضال، فتجدنا نتحاشى الطريقة المباشرة التي يستخدمها الغربيون، وبالتالي ما هي العبارات التي نستخدمها في التعازي والتي تختلف تماماً عما يستخدمه الغربيون، أو مناسبات مفرحة في مجتمعنا العربي مثلاً، وبين الطريقة التي يتم التعامل بها في نفس هذه المواقف في المجتمعات الغربية. هذا وثمة مجتمعات



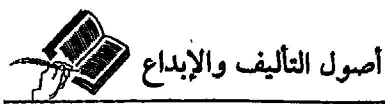
تفرض قيوداً على بعض الأحاديث في مواقف معينة، أو بين أشخاص معينين. . . وهكذا فإن هنالك اختلافات عديدة في الاستخدام الفعلي للغة في المواقف المختلفة، لا بد من مراعاتها عند الترجمة من لغة إلى أخرى. وإلا وقعنا في الخطأ وسوء الفهم دون أن ننتبه إلى سبب ذلك. فالترجمة الحرفية أو الشكلية لا يمكن أن تكفي لفهم المقصود، فكثيراً ما تأخذ الكلمات والتعابير معانيها الخاصة التي تختلف عن معانيها المعروفة، من خلال النص، بل الموقف، والموضوع بشكل عام. وهذا ما نعنيه أحياناً بقولنا «القراءة بين السطور» وتعني الخلفية التي تقف وراء الكلام المكتوب أو الملقى. فكلمة «يحمل» يمكن أن تفهم عامة بأن أحداً يضع على كتفه أو ظهره، أو بين يديه شيئاً ما. إلا أنها حين ترد في مجال آخر كاللغة، فإنها قد تعني أن هذه الكلمة «تحمل» معنى آخر. وفي الميكانيك تعني كلمة «حمل» الثقل، أما في الكهرباء فتعني «مقدار القدرة» الكهربائية. . . وهكذا يختلف معنى الكلمة باختلاف السياق الذي ترد فيه.





أهمية الترجمة ودورها التثقيفي

لم تكن الكتابة ولا الترجمة في صدر الإسلام ولا الحركة الأدبية على جانب من الاهتمام لدى المسلمين أو قادتهم آنذاك. ويعزى ذلك إلى زخم الثورة التي أطلقتها دعوة الرسول محمد (ص) وما شكله نزول القرآن من صدمة قوية هزت العرب في جزيرتهم، متحدية فصاحتهم التي كانوا يتباهون بها. إضافة إلى المعاني العظيمة، والفلسفة الجديدة للدين الجديد. ولم يجر تدوين أية كتب عدا جمع القرآن الكريم. أما في العهد الأموي فقد بدأت حركة التدوين والترجمة. فدونوا النحو خوفاً من تفشي اللحن وفساد اللغة نتيجة الاحتكاك بشعوب فارس والهند وغيرها من شعوب البلاد المفتوحة. ثم أذن الخليفة عمر بن عبد العزيز في تدوين الحديث بعد أن توفي كثير من الصحابة والحفاظ الذين يعتد بهم في رواية الحديث. وأما في العلوم والترجمة، فكان لخالد بن يزيد بن معاوية دور كبير في تشجيع بعضهم في ترجمة كتب اليونان في الطب والكيمياء التي برع فيهما وألف فيهما الكتب. كما عمل معاوية على تشجيع الترجمة ولا سيما في تاريخ الأقدمين. . . وعمل غيره من بني أمية على تشجيع الكتابة



والترجمة في غير ذلك أيضاً. إلا أن حركة التدوين والترجمة اتخذت وضعها الصحيح وبلغت شأوها المرموق في العهد العباسي. حيث دخل الإسلام عدد كبير من الشعوب الفارسية والتركية والهندية... فكان منهم من عمل على ترجمة كثير من ثقافات وعلوم هذه الشعوب إلى العربية لغة الحضارة الجديدة (الحضارة العربية الإسلامية). وكان لهذه الحركة دور كبير في انتشار ثقافات من حضارات سابقة، إضافة إلى انتشار العربية لدى هذه الشعوب. إلا أن مشكلة اللحن وفساد اللغة بين العرب المحتكين بهذه الشعوب والمسلمين المستعربين، لفت الأنظار إلى ضرورة استنباط قواعد لغوية، فكان أن ظهرت علوم النحو والصرف، ثم علوم البلاغة، وعلوم المعاني... إضافة إلى علوم الدين التي تطورت فكان لها هنالك علوم التفسير والحديث والتوحيد... كما أدت هذه الحركة إلى ظهور عدد من العلماء والكتّاب في مجالات العلوم والآداب والفنون المختلفة نعدد منها ما يلي:

(أ) العلوم اللسانية: وأهمها:

1 - علم الأدب: والتي ظهرت على شكل رسائل، تبحث في أغراض ومواضيع شتى. كرسائل ابن المقفع، وسهل بن هرون، وكتب ككتب الأصمعي، والجاحظ، وابن المقفع، والأصفهاني، والحريري، وغيرهم...

2 - فن التاريخ: ككتاب ابن شربة وغيره، وكلها تعنى بفنون السير والمغازي، والفتوح، وطبقات الرجال، والنسب، وأخبار العرب وأيامها، وقصص الأنبياء، وتاريخ الملوك... وأشهر

الكتّاب في هذه الفنون الطبري وابن الأثير والأصمعيْ. . .

3 - **علمي العروض والقافية:** وأهم كتابهما الخليل بن أحمد مؤسس علم العروض أفضل من كتب في علم القافية، وتلميذه الأخفش.

4 - **النحو:** وقد اشتهر في هذا العلم جماعتي البصرة والكوفة. فمن أشهر البصريين ابن العلاء، وتلميذه الخليل وتلميذ الأخير سيبويه، ثم الأخفش. ومن الكوفيين الهرّاء والروّاسي والفرّاء.

5 - **علم اللغة:** ويسمى علم متن اللغة. . . والذي تطور إلى وضع المعاجم حيث بدأ هذا التطوير الخليل بن أحمد ثم ما لبث عدد من اللغويين أن اشتغلوا به حتى ظهرت المعاجم المعروفة اليوم كالصحاح للأزهري، والمحيط لابن عباد، ولسان العرب لابن الأثير، والقاموس للفيروزأبادي، وغيرها. . .

5 - **علوم البلاغة:** ومنها علم المعاني والذي بدأ بالعناية بإعجاز القرآن ومعاني مفرداته. وعلم البيان وأول من كتب فيه الجاحظ. وعلم البديع وأول من كتب فيه ابن قدامة. وعمل كل من الجرجاني والسكاكي في تطوير هذه العلوم.

6 - **العلوم الشرعية:** وهي علم الحديث، وعلم الفقه. . ومن أهم من اشتغل في هذه العلوم البخاري، ومسلم، وأبو حنيفة،

وأحمد بن حنبل، والشافعي، ومالك.

أما علم الكلام فهو العلم الذي يهتم بشؤون الكتاب والسنة. والتي ظهر نتيجتها علم التوحيد الذي أصبح الناس فيه فرقتان السلفيون أو الجماعة، والمعتزلة. ثم غلب مذهب الأشاعرة نسبة إلى مذهب أبي موسى الأشعري على أهل السنة بينما بقي الشيعة على خلاف ذلك. وكان لانتشار الفلسفة التي برع فيها عدد من المسلمين الذين استوعبوا ما ترجم عن فلسفة الأقوام السابقة، وبدأوا بنشر أفكارهم في كتب، ضاقت بها صدور بعض الفقهاء إلى درجة إغراء الخلفاء بهم مما جعلتهم يعمّون ما يكتبونه في هذا المجال على هؤلاء مما جعل كتابات الفلسفة أكثر تعقيداً من غيرها من الكتابات. ومن أشهر من كتب في الفلسفة في ذلك العصر الغزالي والفارابي والكندي وغيرهم...

(ب) العلوم الكونية:

في البداية كانت الكتب التي تهتم بهذه العلوم كلها مترجمة عن حضارات سابقة. إلا أنه ما لبث عدد من أبناء الحضارة الجديدة أن استوعبوا الدروس الواردة في هذه الكتب، وأخذوا يبدعون فيها. ومن هذه العلوم:

1 ـ **الرياضيات**: وتشمل علوم الحساب، والهندسة، والجبر، وعلم الآلات والحيل (الميكانيك)، وعلم الفلك، وربما تبع ذلك الجغرافيا.

ومن برعوا في علوم الرياضيات الخوارزمي مخترع علم

الجبر والمقابلة، ومشيع الحساب الهندي بين العرب.

2 ـ علم السياسة وتدبير المنزل (الاقتصاد)، وعلم الأخلاق.

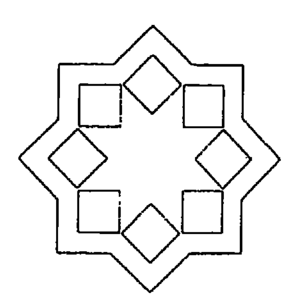
3 ـ الفنون مثل الموسيقى، والزخرفة.

4 ـ **الإلهيات**: كعلوم ما وراء الطبيعة ولا سيما البحث في صفات الله، والملائكة والجن. . .

ثم خبا نور تلك العصور المشرقة، وتراجعت الكتابة والترجمة والتأليف، واستمر التصنيف والشرح لما تم تأليفه في تلك العصور النيرة. واستمر كذلك منذ دخول عهد التتار والمغول ثم الفرنجة والمماليك والترك في حكم بلاد العرب والمسلمين. إلى أن عادت الترجمة والبعثات إلى الخارج على يد محمد علي الكبير وبعض خلفائه. وأخذت عصور النهضة الجديدة في الوطن العربي تنطلق في كل من مصر والشام. ففي الشام ظهر عدد من المثقفين الذين استطاعوا ترجمة العديد من الكتب كما حصل في مصر. وكان لقدوم الأفغاني والتفاف نخبة من المثقفين في مصر والشام حوله دور في دفع حركة الترجمة والتأليف بالفصحى. ثم ما لبثت الأقطار العربية أن استقلت الواحدة تلو الأخرى وبدأت برامج تعليمية واسعة. وابتعثت البعثات المختلفة إلى البلدان المتقدمة علمياً مما ساهم في حركة الترجمة ونقل العلوم إلى العربية لتصبح في متناول كل من يرغب بذلك. حتى ازدحمت المكتبات المنتشرة في كل مكان بالكتب المترجمة والمؤلفة من كتّاب وعلماء عرب. واليوم يواجه العرب تحد حضاري من نوع آخر بدأوا يعملون على مواجهته، والتعامل معه بشتى السبل، ألا وهو انتشار التقنيات الحديثة من حواسيب وتقنيات اتصالات

عبر الأقمار الصناعية، وغير ذلك مما تشهده ساحة الابتكار التقني يومياً. غير أن اللحاق به مكلف جداً، ولا بد أن ترصد له الأموال الكافية، وأن يحسن استخدامه في شتى المجالات النافعة، بالشكل الذي اخترع من أجله أصلاً. ومن ذلك الاهتمام بنشر الثقافة المناسبة لهذه التطورات على أوسع نطاق ممكن، كإدخاله في البرامج التعليمية العامة، وفي تحديث أدوات وأساليب العلم في الشركات والمؤسسات والهيئات العامة وفي إحداث التغيير اللازم في الإدارة العامة لمصلحة الوطن والمواطنين.

إن الدخول في شبكة «الإنترنيت» من الأمور التي يجب، رغم كل المحاذير والسلبيات المحتملة، أن تعطى اهتماماً أكبر لما توفره من مجالات الحصول على المعلومات المرغوب فيها لمختلف الأغراض كالبحث العلمي، والأعمال التجارية، وغيرها... ولما تتيح من تعميم للثقافة على مستوى العالم.

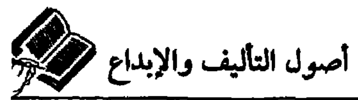


الفصل العاشر

دور النشر، والكتّاب، والقرّاء

- دور النشر
- تصنيفات دور النشر
- دور النشر وأهميته
- العلاقة بين دور النشر والحكومة
- كيف تختار دار النشر الملائمة للإنتاجك
- واقع مؤسسات النشر في الوطن العربي
- مشكلة الكتّاب مع دور النشر
- الكتابة.. النشر.. القراءة



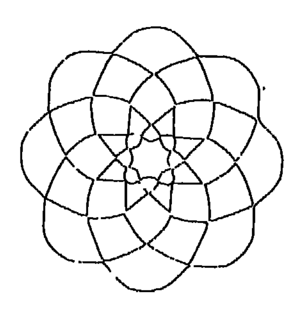






تمهيد

هل لدُور النشر دَوْر مؤثر في تطور الكتابة والقراءة؟. أم أن الأمر عائد إلى الكتّاب وإنتاجهم نوعاً وكماً؟. أم أن الدور الأول في ذلك يعزى للقراء قبل كل شيء آخر؟. حيث إنهم هم من يوجه الكتّاب إنتاجهم إليهم. وهم من توجه دور النشر منشوراتهم إليهم أيضاً. أم أن لكل منهم دوره المتميز في هذا الخصوص؟.





دور «مؤسسات» النشر

قبل أن نتعرف على الدَّوْر الذي تلعبه مؤسسات أو ما يعرف بدور النشر في مسألة نشر الثقافة في المجتمع. لا بد أن نتعرف على طبيعة هذه الدور أو المؤسسات. هل هي مؤسسات إنتاجية؟. أم مؤسسات خدمية؟. أم ماذا؟.

الواقع أن معظم، إن لم يكن كل هذه المؤسسات التي تدعى «دور النشر»، مؤسسات خدمية غير إنتاجية عندما يتعلق الأمر بإنتاج الكتب. أما فيما يتعلق بإنتاج المجلات والصحف والمطبوعات الدورية فيكون دورها إنتاجياً، بمعنى أن المطبوعات يتم إعداد موضوعاتها وطباعتها، وتوزيعها بمعرفة الدار المعنّية، وتكون هي المسؤولة غالباً عما تحتويه من موضوعات، وتتحمّل تكلفة الإخراج، وتكلفة الإنتاج، ومخاطر التوزيع، وغير ذلك مما يتطلبه مثل هذا الإنتاج. سواء المسؤولية الرسمية، تجاه الأجهزة الحكومية المختصة، أم تجاه المجتمع والقرّاء. رغم أن هذه المطبوعات غالباً ما تحتوي على صفحات تكون مسؤوليتها على كاتبها، حيث تظهر في مكان ما من هذه الصفحات عبارة مثل: «النصوص التي

تتضمنها هذه الصفحة تعبر عن آراء أصحابها، وليس عن رأي المطبوعة». كما أن كثيراً من دُور النشر تلزِّم مطبوعاتها لمتعهد توزيع متخصص، بحيث يتحمل هذا الملتزم جزءاً محدداً من المسؤولية يتم توضيحه في العقد المبرم بين المؤسستين.

وحتى في مجال إنتاج الكتب، فإن ثمة مؤسسات تنتج الكتب عن طريق استكتاب الكتّاب دون أن يكون لديها محررين دائمين، إذ أن مثل هذا الأمر يتطلب منها توظيف عدد كبير من الباحثين والكتّاب، مما يصعب أن يحصل لأسباب كثيرة منها أن حصر جهاز الكتابة في المؤسسة بعدد محدود مهما كان كبيراً أمر غير مرغوب به لحرمانها من كتابات عدد آخر غير ممكن التكهن به، ففي كل يوم يظهر كتّاب وباحثون وأدباء... قد يكون إنتاجهم على جانب من الأهمية... ومن جهة أخرى قد يلجأ بعضها إلى طباعة منتجاتها وإنجاز عمليات الإخراج، والتجليد وخلافه في مطابعها الخاصة، بينما تلجأ أخرى إلى إنجاز ذلك في مطابع أخرى تحت إشرافها... والأمر مختلف باختلاف الأساليب المتبعة في هذا المجال أو ذاك. كما أن ثمة مؤسسات تابعة للحكومة، وأخرى تحت إشراف مباشر أو غير مباشر، وأخرى تابعة للقطاع الخاص. وهذا قد ينقلنا إلى الحديث عن علاقة دور النشر بالحكومة، ودور الرقابة التي تمارسها الأجهزة الحكومية على المطبوعات...

تصنيفات دور النشر

وهكذا يمكننا القول أن ثمة أنواعاً متعددة من دور النشر. يمكن تصنيفها بحسب أغراضها، أو بحسب أسلوبها في العمل، أو بحسب انتمائها...

فهنالك مثلاً:

1 - دور نشر تنتج الكتب بأنواعها، أدبية، اجتماعية، سياسية، علمية، فكرية...

2 - دور نشر تنتج صحف يومية سياسية.

3 - دور نشر تنتج مجلات ودوريات متخصصة في مجالات مختلفة: علمية، أدبية، فنية، ثقافية، اجتماعية، سياسية...

4 - دور نشر تنتج مطبوعات، ونشرات تجارية خاصة، إعلانات...

5 - يمكن إضافة دور نشر بدأت تنتج أقراصاً حاسوبية، أشرطة ممغنطة (كاسيت، وفيديو)... إلخ.

واليوم هنالك النشر عن طريق الحاسوب بواسطة الشبكة العالمية «الإنترنيت».

أما التصنيف بحسب الغرض:

فهنالك مثلاً:

1 ـ نشر المؤلفات والأبحاث والدراسات في مختلف المجالات.

2 ـ نشر الكتب والأبحاث والدراسات المترجمة.

3 ـ نشر المعاجم والموسوعات.

4 ـ نشر المجلات والصحف، والدوريات الأخرى.

5 ـ نشر الإعلانات والمطبوعات التجارية: «بروشورات، وكتيبات تركيب، وتشغيل الأجهزة...».

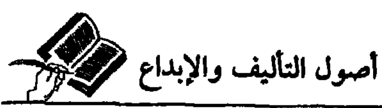
6 ـ النشر بالسمع والنظر «الڤيديو والكاسيت والحاسوب».

كما يمكن أيضاً التصنيف بحساب الأسلوب المتبع من قبل مؤسسة.

فهنالك مثلاً:

1 ـ مؤسسة تنتج لحسابها وتتحمل نتائج ذلك كاملة من حيث التكلفة والعائد، ومن حيث الأمور الفنية، والمسؤولية الرسمية، والاجتماعية... وتكون كافة حقوق الطباعة والنشر للمؤسسة المنتجة حصراً.

2 ـ مؤسسة تنتج لحساب الآخرين «طباعة وإنتاجاً فنياً، وتوزيعاً»



على أن تكون مسؤولية الموضوع على عاتق المؤلف. وتكون حقوق الطباعة والنشر للمؤلف.

3 ـ مؤسسات تعمل بالإنتاج عن طريق مطابع خارجية لحسابها أو لحساب المؤلف.

4 ـ مؤسسات تعمل بأساليب مختلطة لا حصر لها، وهي تتبع الاتفاق بين طرفي المسألة: المؤلف، والمؤسسة المنتجة. سواء بالنسبة للإنتاج الفني والطباعة، أم بالنسبة للتوزيع، أم فيما يتعلق بالحقوق والمسؤوليات.





دور مؤسسات «دور» النشر وأهميته

تعتبر دور النشر المنفذ الذي عن طريقه، تجد المؤلفات والمترجمات التي ينتجها الكتّاب، والأدباء، والباحثون، والمترجمون، طريقها إلى الطرف المهم الآخر الذي هو طرف القرّاء. فإذا لم تصل هذه المؤلفات إلى القرّاء المعنيين، فكيف تعطي أكلها، وكيف يكون الانتفاع بها، وبما تتضمنه من موضوعات نافعة. وسواء كان النشر بواسطة مطبوعات دورية أو مطبوعات متخصصة، أو المؤسسات المختصة بنشر الكتب. فإن الدور الذي تؤديه هذه المؤسسات بالغ الأهمية، إن من حيث الإنتاج الفني والطباعة، أم من حيث التوزيع. حيث ترتبط معظم هذه المؤسسات بشبكات للتوزيع. ولديها وسائل عديدة في هذا الصدد لا تتوفر غالباً للمؤلف أو الباحث أو المترجم. كمعارض الكتب التي تقام هنا وهناك من وقت لآخر، والتي تعرض فيه كل مؤسسة نشر منتجاتها الجديدة... إلخ.



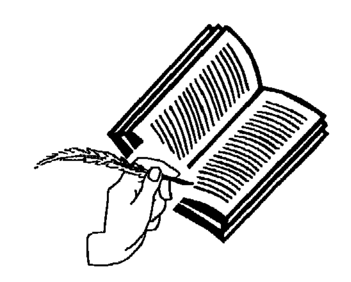
العلاقة بين مؤسسات «دور» النشر.. والحكومة

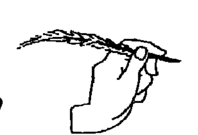
هنالك في الوطن العربي عدد من مؤسسات النشر تتبع الحكومة، وهي بالتالي تتبع السياسة العامة التي تحددها لها السلطات الحكومية المختصة، فلا تحيد عنها. نعدد منها المؤسسات الصحفية والتي تتعامل بالسياسة عادة، فتعبر عن سياسة الحكومة. كما أن ثمة مؤسسات ثقافية تتبع وزارة الثقافة أو الإعلام أو ما شابه من السلطات. وتعنى غالباً بالفكر والأدب والفن... أي بالثقافة، والتي يمكن وصفها بالثقافة الموجهة. ويمكن أن يقتصر التوجيه فيها على تحسين صورة السياسات الحكومية في المجالات التي تنشر في نطاقها، بينما يكون ثمة موضوعات أخرى حرة، على مسؤولية أصحابها. على أن معظم هذه المؤسسات يكون لها رقابتها الذاتية على الموضوعات المعروضة للنشر في مطبوعاتها ودورياتها، بحيث لا تتعدى حرية الكاتب خطاً أحمر، يوازي السياسات العامة للحكومة والتي تلتزم بها المطبوعة... مع اختلاف هذه الخطوط الحمراء بين قطر وآخر.

أما المؤسسات الأخرى التي لا تتبع الحكومة. فجيمع الحكومات

في الوطن العربي لديها أنظمة رقابة على المطبوعات بجميع أنواعها، تتفاوت شدتها بحسب المواضيع «سياسية، ثقافية. . .» وبحسب القطر وسياساته العامة ومدى مرونة أنظمته الرقابية، والتي لها علاقة وثيقة بتوجهاته الديموقراطية.

ورغم عدم أو ندرة الاعتراض على الرقابة بشكل عام بهدف حماية الفكر والثقافة من الانفلات الفكري والثقافي المؤذي. فإن تحقيق رقابة مقبولة لا نقول لجميع من يعمل في هذا المجال، وإنما يحوز على رضى معظم هؤلاء، من كتّاب وأدباء باحثين، ومؤسسات نشر خاصة. . . قد لا يكون بهذه البساطة. بل نعتقد أن الأمر أكثر تعقيداً مما نظن. ولا بد مع ذلك من اشتراك ممثلي الحكومة راعية المجتمع ممثلة بوازرة الثقافة، وكل من اتحاد الصحفيين واتحاد الكتّاب اللذين يمثلان العنصر الأهم في هذا المجال. وقد يكون مهماً تمثيل القراء بعدد من أهم قطاع من القراء «اتحاد الطلبة، نقابة المعلمين، نقابة الفنانين، وغيرها من المنتديات الثقافية والفنية. . .». ليكوّنوا معاً مجلساً يضع أنظمة الرقابة المقبولة، ويفصل في المسائل التي تنشأ بين الأجهزة الحكومية المختصة ودور النشر أو الكتّاب والفنانين. . . وغير ذلك.





كيف تختار دار النشر المناسبة لإنتاجك

لكي تنشر إنتاجك فإنك كما بينا أعلاه بحاجة لمن ينشره لك. فمن هو الناشر المناسب لإنتاجك. لا شك أن من المفترض أن تحدد أي نوع من الإنتاج هو إنتاجك. هل هو مقالة؟. هل هو رأي أو رد على ما قرأت في مطبوعة ما؟. هل هو بحث، أم دراسة؟...

ثم في أي مجال من الموضوعات يقع هذا الإنتاج؟. هل هو نثر أدبي؟. أم شعر؟. وهل هو قصيدة أم ديوان؟. هل هو بحث علمي، أم فني، أم غير ذلك؟... والشؤون شجون كما يقال. فمن المهم قبل كل شيء أن تحدد في أي تصنيف يقع موضوعك. ثم تبحث عن الناشر المناسب له. فالمقالات تنشر في الصحف، أو المجلات المتخصصة. كذلك القصائد فتنشر في الصحف والمجلات العامة أو ذات الاهتمام الأدبي. بينما تحتاج الكتب والأبحاث إلى مؤسسات تختص بنشر مثل هذه المواضيع... إلخ. ومع ذلك فليس كل الناشرين سواء.



واقع مؤسسات النشر في الوطن العربي

يلاحظ أن أضخم المؤسسات التي تعمل في مجال الطباعة والنشر والتوزيع، هي مؤسسات صحفية بالدرجة الأولى. ومن أهمها مؤسسات حكومية كمؤسسات الأهرام والأخبار... في مصر، الوحدة والبعث... في سورية وغيرها في الأقطار الأخرى. ومؤسسات خاصة بعضها تصدر في الوطن كما هو الحال في لبنان والكويت والأردن... وأهمها يصدر في الخارج ولا سيما في لندن وباريس كالحياة، والمستقبل، والشرق الأوسط... وغيرها كثير.

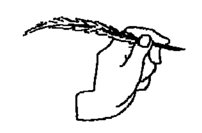
ومعظم هذه المؤسسات تصدر الصحف اليومية، والمجلات السياسية، وغير السياسية... كما أن ثمة مؤسسات تتخصص في طباعة ونشر وتوزيع مجلات متخصصة منها ما هو مهني، ومنها ما هو أدبي، أو ثقافي، أو فني... إلخ.

أما دور النشر التي تهتم بنشر الكتب والأبحاث والدراسات، فمنها أيضاً ما هو حكومي، ومنها ما هو خاص. على أن معظم هذه الكتب عدا مؤسسات الكتب الجامعية أو المدرسية في بعض الأقطار العربية، هي مؤسسات خاصة. وتتراوح حجومها، وقدراتها الإنتاجية، والتوزيعية، بين

مؤسسات ضخمة تقوم بإنتاج ضخم لحسابها، ولديها الجهاز المؤهل، والقادر على إعداد الخطط، وإقرار الكتب المقبولة لطباعتها لحسابها، أو ربما لحساب المؤلفين وتوزيعها بواسطة أجهزتها الخاصة، أو عن طريق متعهدين خارجيين. وبين مكاتب نشر تتولى تلقّي الكتب التي يعرضها كتابها ومؤلفيها عليها، لتتولى إنتاجها عن طريق مطابع خارجية وبإشرافها الإداري والفني، أو عن طريق مشرفين فنيين بالقطعة، ثم تولّي عملية التوزيع عن طريق مكاتب توزيع أو مباشرة...

وعدا المؤسسات الكبرى والتي يكون لديها خططها وأهدافها العامة... فإن معظم دور النشر تضع لها معايير تجارية تأخذ مسألة التوزيع كمعيار أساسي عند الموافقة على إنتاج كتاب ما. وأكثر هذه المؤسسات لا تتبع تخصصاً محدداً بل يمكن أن تقبل كل ما قد تراه يؤمن لها توزيعاً مجدياً، وبالتالي أرباحاً مناسبة. ناهيك عن تلك المؤسسات التي تضع لها لافتة «دار كذا للنشر» ولكنها في الحقيقة لا تنشر إلا ما يتيسر لها من كتب التراث التي تلاقي إقبالاً واسعاً، كالكتب الدينية، والأدبية للمشاهير من الكتّاب والشعراء القدامى... فتعمل على إعادة طباعتها وتوزيعها بإخراج جديد... بحجة إحياء التراث.

أما اليوم فكثير من المؤسسات تعمل في نشر الكتب التي تبحث في الحاسوب وبرامجه، والمسائل المتعلقة فيه، فهي أمور أصبحت تجد لها قراء على نطاق واسع... وهذه تختلف عن المؤسسات التي تعمل في مجال البرامج الحاسوبية والتقنيات العصرية، والتي تنتج ترجمات أو برامج مدعومة باللغة العربية... أو غير ذلك. فتوزعها على أقراص لينة، أو ليزرية، مع كتيبات تشرح البرامج باللغة العربية وكيفية تشغيله... إلخ.



مشكلة الكتّاب مع دور النشر

مما سبق قد تتضح لنا صورة مؤسسات النشر بصورة عامة. من حيث الإنتاج، والتوزيع. أما من حيث العلاقة مع الكاتب أو المؤلف فالأمر قد يكون الجانب الأكثر تعقيداً. فإن أي بحث أو عملية تأليف في أي مجال... يأخذ من الكاتب الوقت في البحث عن وفي المراجع واستخلاص المفيد للبحث... والجهد في البحث والكتابة، وترتيب الأفكار والمواضيع... وبعض التكلفة في الورق والكتابة على الآلة الكاتبة، والمصاريف الأخرى كالمراجع، ومصاريف المكتب... ثم عندما يصل إلى مرحلة نشر نتاج ذلك كله، يصطدم بحاجز مؤسسات النشر، التي لها أن ترفض نشر هذا النتاج بمبرر أو بدون مبرر. فمن يواجهه بأن هذا الخط ليس خطنا في النشر... أو أن السوق لا يتقبل مثل هذا الإنتاج، أو ليس من يقرأ هذه الأيام... إلخ. وإذا تكرم أحدهم وقال لك أنه وجد في مؤلفك ما أثار اهتمامه، وأنه يقبل نشره على حسابك إذا أردت، أو أنه سيغامر بنشره، رغم أن معرفته بالسوق تخبره بأنه ربما يخسر قيمة الورق وتكاليف الطباعة والتنضيد والتجليد... فهنا تبدأ



المساومات ليكون نصيب المؤلف لا يوازي يوماً من الجهد والسهر والتفكير . . . ولعل الناشر الكريم منهم يعتذر لك بأنه يعلم بأنه لا يعطيك شيئاً يوازي قيمة ما كتبت، ولكنه السوق الذي يحكم الجميع . . . وقد يعزيك مثل هذا القول، ولكنه لا يشجع على الكتابة والتأليف الجيد. وقد يطلب إليك الناشر أن تكتب في مواضيع معينة هي التي تقرأ هذه الأيام، وليس مهماً ماذا تكتب. المهم الشكل ولفت النظر، وبالتالي التوزيع . . . وهذه مصيبة الكتابة اليوم. فإذا لم يكن للكاتب أو الباحث دخل آخر، ولم يكن لديه الدافع الذاتي، فلن يكتب أبداً. أو يقبل بكتابة متواضعة . . . والباحث أو الكاتب الحقيقي لا يمكنه أن يفعل . . . وهنا تحضرنا المقولة الاقتصادية القائلة بأن: «العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة».

فهل فعلاً أن الأمر يعزى إلى القراء هذه الأيام؟!.





الكتابة.. النشر.. القراء

ما توصلنا إليه في فصول أخرى في هذا الكتاب، أن عدد القراء قد زاد إلى حد بعيد، بعد انتشار التعليم على نطاق واسع في الوطن العربي. فما هذا الذي يقوله الناشرون عن سوق القراءة السيء؟!.

إذا أقررنا بالأمر... وليس لنا أن نعترض عليه ما دام يصدر عن مؤسسات على تماس مع القراء. فكيف يمكن أن نفسر الأمر، مع ما توصلنا إليه من ازدياد في عددهم؟!.

هل يعزى ذلك إلى انقطاع العلاقة بين عدد القراء المتحملين «المتعلمون» والقراءة؟!.

هل يعزى ذلك إلى اختلاف بين ما يتم نشره، وبين ما هو مطلوب للقراءة؟!.

هل يعزى ذلك إلى تنوع وسائل نشر الثقافة، ولا سيما الوسائل المسموعة والمرئية بالمنافسة مع المكتوبة؟!.

أم ماذا؟!.

لا نعتقد أن ثمة انقطاع بين القراء المحتملين، وبين القراءة. فلا بد لمن تعلم القراءة من أن يستفيد من هذه الميزة في الاضطلاع المستمر، أو على الأقل جزء كبير منهم. فلا بد من وجود من له اهتمامات أدبية، أو سياسية، أو اجتماعية، أو فنية، أو علمية... ولعل حب الاضطلاع من الغرائز النفسية في الإنسان، وهو يستخدم لإشباعها كل الوسائل التي يملكها ومنها مهاراته في القراءة. ولعل ما يلاحظ من تعدد دور النشر وتنوعها وتنوع منتجاتها، ونفاذها لدى الباعة ما يؤكد ذلك. فما هو الأمر إذاً؟.

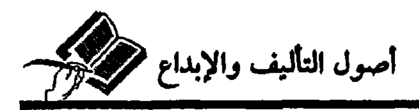
هل يتعلق الأمر بالنوعية، فما هو مطلوب يختلف عما هو معروض؟. ربما. فليس لدينا دراسة وافية تصنف القراء المحتملين حسب توجهاتهم. فما هي نسبة القراء ذوي الاهتمامات الأدبية... وما هي نسبة ذوي الاهتمامات العلمية... أو الفنية... أو... أو... ثم في كل نوع من هذه الاهتمامات ما هي نسبة قراء كل فرع منها من شعر، أو طب أو هندسة، أو فلسفة، أو تاريخ، أو موسيقى، أو رسم... إلخ. وهي مسألة معقدة كما ترى. فكيف يمكن لمؤسسة ما أن تقدر كم من هذه الكتب تنشر وكم من تلك؟. سيما إذا كانت من المؤسسات ذات القدرات المحدودة؟.

على أن علينا أن لا نهمل دور الوسائل المرئية والمسموعة كالمسجلات، وأجهزة «الراديو»، و«التلفاز» و«الفيديو»... واليوم الحاسوب «الكمبيوتر» ببرامجه المختلفة، وسواء استخدمت للتسلية وهي الأكثر انتشاراً... أم كهواية... أم لأغراض جدية أخرى... فهي لا

شك أمور، إذا أضيف لها توزع الاهتمامات على بقية النشاطات الفنية، والرياضية... ومشاكل الحصول على المعيشة التي قد تتطلب من المرء أحياناً أن يحاول الحصول على عمل إضافة إلى عمله الأصلي.. تأخذ من وقت المرء كل وقت فراغ محتمل أن يخصص للقراءة. ومما يزيد من المشكلة غلاء الكتب والمطبوعات من جهة... وسهولة التعامل مع باقي الوسائل ـ باستثناء الحاسوب ـ مقارنة بالقراءة التي تتطلب وضعاً معيناً، وذهناً صافياً، وانقطاعاً كلياً عن بقية الأمور المحيطة... مما يجعل الأمر يجرى لصالح الوسائل الأخرى أكثر...

فكيف يكون الحل.. وما هو مستقبل الكتابة، والقراءة في ضوء المستجدات والتقنيات والمخترعات الحديثة... هذا ما سيكون موضوع حديثنا في الفصل الثاني عشر.





الفصل الحادي عشر

أهمية المطالعة في نشر الثقافة

- تمهيد
- أقوال في الكتاب
- وفي أدوات الكتابة
- وفي اكتساب العلم
- وفي العلماء
- وفي البلغاء
- وفي الشعر والشعراء
- وفي الخطابة والخطباء
- وقيل في الكتابة شعراً
- المطالعة المفيدة، وشروطها
- المطالعة الإلكترونية





تمهيد

أدى انتشار التعليم في شتى أقطار الوطن العربي بهذا الشكل الذي نلمسه اليوم، إلى انتشار الثقافة العربية بصورة واسعة بين مشرق الوطن ومغربه. فأصبح العربي في المشرق يقرأ لكتاب في المغرب، والعكس صحيح. ولولا وجود متعلمين يقرؤون ويهتمون بالمطالعة، لما كان هذا الانتشار. ولعل هذا ما شجع الكتّاب في شتى فروع العلوم والآداب والفنون، وكذلك دور النشر لإصدار كل هذا الكم الذي نجده في المكتبات التي زاد عددها أيضاً بازدياد عدد القراء الذين يطلبون الكتب المتنوعة منها. إضافة إلى المكتبات العامة التي أصبح وجودها من المرافق الأساسية في كل مدينة تقريباً.

ورغم أننا في الوطن العربي لم نزل نسبياً أقل إقبالاً على المطالعة من غيرنا من الشعوب المتقدمة نوعاً ما. ففي تلك البلدان قل أن تجد أحداً يجلس في مكان عام (حديقة أو قطار أو حافلة. . .) إلا وفي يده كتاب من نوع ما يقرأ فيه. أما نحن فتجد المدمن على المطالعة فينا لا يصرف من وقته سوى ساعات معدودة في المطالعة. أما بصورة عامة

فكثير منا يفضل الخوض في أحاديث ومناقشات قد لا يكون وراء معظمها طائل. أو أن يقضي وقته في اللعب واللهو في مقهى أو متنزه أو ربما في الجلوس أمام التلفاز طيلة وقت الفراغ. بل إن بعضهم تجده يضع جهازاً في مكان عمله أيضاً. ولا نقول إن جهاز التلفاز ليس وسيلة من وسائل التثقيف كما هو وسيلة من وسائل الترفيه. إلا أن اختيار البرامج المناسبة قد لا يكون دائماً قيد العناية من قبل معظمنا. ناهيك عن نوعية البرامج التي تعرضها اليوم هذه الوسائل.

فمتى يكون للكتاب مكان بين يدينا. وللمطالعة هوى، وهل كالمطالعة من منافس في اكتساب الثقافة في شتى المجالات؟!. وانتقاء ما يتناسب وذوقنا، أو احتياجاتنا؟!.

وقديماً قيل في الكتاب كثير من الأوصاف نذكر هنا بعضها للتذكير فقط.





أقوال في الكتاب

يقول الجاحظ في الكتاب: «الكتاب نعم الأنيس ساعة الوحدة. ونعم المعرفة في دار الغربة. ونعم القرين والدّخيل. ونعم الزائر والنزيل. وعاء مليء علماً، وظرفاً. وإناء مليء مزحاً، وجداً. وحبذا بستان يحمل في خرج. وروض يقلب في حجر. هل سمعت بشجرة تؤتي أكلها كل حين بألوان مختلفة وطعوم متباينة؟. هل سمعت بشجرة لا تذوي؟. وزهر لا ينوى، وثمر لا لا يفنى؟. ومن لك بجليس يفيد الشيء وخلافه؟!. والجنس وضده؟!. ينطق عن الموتى! ويترجم عن الأحياء! إن غضبت لم يغضب! وإن عربدت لم يصخب! أكتم من الأرض! وأنم من الريح! وأهوى من الهوى! وأخدع من المنى! وأمتع من الضحى! وأنطق من سحبان وائل! وأعيا من باقل!. هل سمعت بمعلم تحلى بخلال كثيرة، وجمع أوصافاً عديدة؟. عربيّ، فارسيّ، يونانيّ، هنديّ، سنديّ، روميّ. إن وعظ أسمع. وإن ألهى أمنع. وإن أبكى أدمع. وإن ضرب أوجع. يفيدك ولا يستفيد منك. ويزيدك ولا يستزيد منك. إن جدّ فعبرة. وإن مزح فنزهة. قبر الأسرار. ومخزن الودائع. قيد العلوم. وينبوع الحكم.

ومعدن المكارم. ومؤنس لا يسأم. يفيدك علم الأولين. ويخبرك عن كثير من أخبار المتأخرين. هل سمعت في الأولين؟ أو بلغك في السالفين؟ جمع هذه الأوصاف مع قلة مؤونته؟ وخفة محمله لا يرزؤك (ينقصك) شيئاً من دنياك. نعم المدّخر والعدة، والمشتغل، والحرفة. جليس لا يطريك. ورفيق لا يملّك. يطيعك في الليل، طاعته في النهار. ويطيعك في السفر، طاعته في الحضر. إن أطلت النظر إليه أطال إمتاعك، وشحذ طباعك، وبسط لسانك، وجود بيانك، وفخم ألفاظك. إن ألّفته خلّد على الأيام ذكرك. وإن درسته رفع في الخلق قدرك. وإن نعتّه نوه عندهم باسمك. يقعد العبيد في مقاعد السادات، ويجلس السوقة في مجالس الملوك. فأكرم به من صاحب، وأعزز به من موافق».





وفي أدوات الكتابة

ولم ينس أحدهم أدوات الكتابة من الوصف فقال: «الدواة من أنفع الأدوات. وهي للكتابة عتاد. وللخاطر زناد. غدير لا يرد غير الأفهام. ولا يمنح بغير أرشية (حبال) الأقلام. . غدير نقيض ينابيع الحكمة من أقطاره. وتنشأ سحب البلاغة من قراره. مداد كسواد العين، وسويداء القلب، وجناح الغــراب، ولعاب الليل، وألوان دهم الخيل. مداد ناسب خافية الغراب، واستعار لونه من شرخ الشباب. أقلام جمة المحاسن، بعيدة من المطاعن. أنابيب ناسبت رماح الخط في أجناسها. وشاكلت الذهب في ألوانها. وضاهت الحديد في لمعانها. أقلام كأنها الأميال استواء. والآجال مضاء. بطيئة الخفى، قوية القوى. قلم لا يبدو إذا نبت الصفاح. ولا يحجم إذا أحجمت الرماح. فلم يسكت واقفاً وينطق ساكتاً».

وقال بعضهم في وصف القلم: «القلم أحد اللسانين. وهو المخاطب للغيوب بسرائر القلوب، على لغات مختلفة، من معان معقولة بحروف معلولة. متباينات الصور، مختلفات الجهات. لقاحها ونتاجها

التدبير. تخرس منفردات وتنطق مزدوجات، بلا أصوات مسموعة، ولا ألسن محدودة، ولا حركات ظاهرة، خلا قلم حرّف باريه قطته، ليتعلق المداد به. وأرهف جانبيه ليردّ ما انتشر عنه إليه. وشق رأسه ليحتبس المداد عليه. فهنالك استمد القلم بشقه، ونثر في القرطاس بخطه، حروفاً أحكمها التفكر. وأولى الأسماع بها الكلام الذي ساده العقل، وألحمه اللسان، ونهشته اللهوات، وقطعته الأسنان، ولفظته الشفاه، ووعته الأسماع عن أنحاء شتى من صفات وأسماء. قال البحتري:

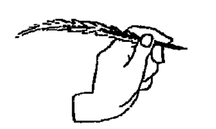
«طعان بأطراف القوافي كأنه　　　طعان بأطراف القنا المتكسر»





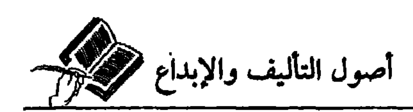
وفي اكتساب العلم

قال بديع الزمان الهمذاني في العلم: «العلم شيء بعيد المرام. لا يصاد بالسهام، ولا يقسم بالأزلام، ولا يرى في المنام، ولا يضبط باللجام، ولا يكتب للّئام، ولا يورث عن الآباء والأعمام. وزرع لا يزكو إلا متى صادف من الحزم ثرى طيباً، ومن التوفيق مطراً صيباً، ومن الطبع جواً صافياً، ومن الجهد روحاً دائماً، ومن الصبر سقياً نافعاً. وغرض لا يصاب إلا بافتراش المدر، واستناد الحجر، ورد الضجر، وركوب الخطر، وإدمان السّهر، واصطحاب السفر، وكثرة النظر، وأعمال الفكر».



وفي العلماء

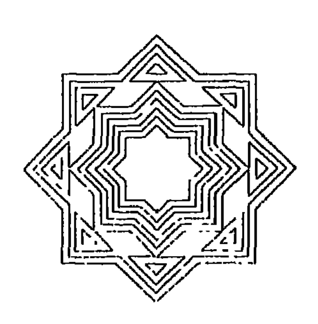
وفي العلماء قال أحدهم: «بدر العلوم اللائح، وقطرها الغادي والرّائح. وثبيرها الذي لا يزحم، ومنبرها الذي ينجلي به ليلها الأسحم. أما فنون الأدب، فهو ابن بجدتها (العالم بها)، وأخو جملتها، وأبو عذرتها، ومالك أزمّتها. تستخرج الجواهر من بحوره، وتجلى لمعات الطروس بقلائد سطوره. تآليفه غرر منيرات أضاءت وجوه دهم المشكلات. عالم أقلامه نفثات السحر. تآليفه عقائل أصبح الدهر من خطابها له بدائع مائسات الأعطاف. بحر البيان الزاخر، شيخ المعارف وإمامها. ومن في يديه زمامها لديه تنشد ضوالّ الأعراب. وتوجد شوارد اللغة والعراب. مالك أعنّة العلوم، وناهج طريقها، والعارف بترصيعها وتنميتها الناظم لعقودها، الرّاقم لبرودها، المجيد لإرهافها. العالم بجلائها وزفافها، ملك رق الكتابة والإنشاء. وتصرف في فنون الإبداع كيف شاء. عالم يتفجر العلم من جوانبه. وتنطق الحكمة من نواحيه. صاحب المصنفات التي دلّت على وفرة اطلاعه، وغزارة مادته، وحسن بيانه. لم يترك معنى مغلقاً إلا فتح صياصيه، ولا مشكلاً إلا أوضح مبانيه».

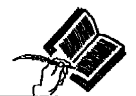




والبلغاء

وقيل في وصف البلغاء: «فلان يحوك الكلام على حسب الأماني. ويخيط الألفاظ على قدود المعاني. يجتبي من الألفاظ أنوارها، ومن المعاني ثمارها. يعبث بالكلام، ويقوده بأنين زمام. حتى كأن الألفاظ تتحاسد في التسابق إلى خواطره، والمعاني تتغاير في الانثيال (الانصباب) على أنامله. بليغ نسق من جواهر كلامه أكاليل درّ، ما لمنظومها سلك. بليغ تفكّ سهام أفكاره الزّرد. ناظم سلك البلاغة، وقائد زمام البراعة. إذا أوجز أعجز. وإذا شاء أطال وأطلق من البلاغة العقال. إذا أذكى سراج الفكر، أضاء ظلام الأمر. يستنبط حقائق القلوب. ويستخرج ودائع الغيوب».

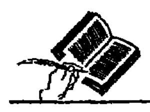




وفي الشعر والشعراء

أما ما قيل في وصف الشعراء المحدثين في العصر العباسي، فنورد قول ابن دريد الذي قال: «سألت أبا حاتم عن أبي النواس فقال: إن جدّ أحسن. وإن هزل ظرف. وإن وصف بالغ. يلقي الكلام على عواهنه لا يبالي من أين أخذه. قلت فبشّار بن برد. قال: نظّام غواص، مطيل، مجيد. يصف ما لم ير كأنه رآه. على أن في شعره خللاً كثيراً. . . قلت فأبو تمام. قال: سيل كثير الغثاء، غزير الغمار. جم النطاف. فإذا صفا فهو السّلاف بالماء الزلال. . .».

ومما قيل في الشعر والشعراء ما يلي: «مقذف حصى القريض، وجماره. ومطلع شموسه وأقماره، ونثره سحر البيان ونظمه قطع الجمان. طلعت شمس الأدب من أفق أشعاره، وتفجرت ينابيعها من خلال آثاره. شاعر توقدت جمرات أفكاره. شاعر عرائس أفكاره صباح. إن نثر فالنجوم في أفلاكها. أو نظم فالجواهر في أسلاكها. أخذت بمجامع القلوب كلمه. إذا كتب، انتسب إليه السحر أصحّ انتساب. ونسق المعجزات نسق حساب. وأرى البدائع بيض الوجوه كريمة الأحساب. إن



نثر رأيت بحراً يزخر. وإذا نظم أزرى بنظم العقود. وأتى بأحسن من رقم البرود. إذا كتب ملأ المهارق بياناً، وأرى السّحر عياناً. هو الكاتب الذي تنقاد إلى يراعه دقائق المعاني صاغرة بزمام. نثر كنثر الورود ونظم كنظم العقود. نثر كالسّحر أو أدق، ونظم كالماء أو أرق. نثر كما تفتح الزهر ونظم كما تنفس السّحر. رسالة تضحك عن غرو، وزهر وقصيدة تنطوي على حبر، ودرر. كلام كما هب نسيم السّحر على صفحات الزهر. كتاب مطلعه مطلع أهلة الأعياد. وموقعه موقع نيل المراد. كتاب حسبته يطير من يدي لخفته، ويلطفه عن حسي لقلته. صحائف انطوت المحاسن تحت رقّ منشورها. وصدحت حمائم البلاغة على أغصان سطورها صحائف تنوب عن الصفائح. وقراطيس تزف إلى الأسماع عرائس القرائح صحائف ألبسها أثواباً من الحبر، ودبّجها صوب الفكر لا صوب المطر.





وفي الخطابة والخطباء

وفي وصف الخطباء: «جلّوا بكلامهم الأبصار العليلة. وشحذوا بمواعظهم الأذهان الكليلة. ونبهوا القلوب من رقدتها. ونقلوها عن سوء عادتها. فشفوا من داء القسوة، وغباوة الغفلة. وداووا من العي الفاضح. ونهجوا لنا الطريق الواضح. خطيب لا تناله حبسة. ولا تزينه لكنة. ولا تتمشى في خطابه رتّة (عجمة). ولا تتحيف (تنقص) بيانه عجمة. ولا تعترض لسانه عقدة. خطيب جواهر نفثاته صحاح وعرائس أفكاره. صباح خطيب تزينت بدرر ألفاظه عقود الملح. لا عيب فيه إلا أن لفظه عطل الياقوت والدرر. خطيب مصقع ينثر لسانه اللؤلؤ المسنون. هو الخطيب المصقع الذي أشخص بآيات خطبه الزاجرة، عيون القوم وأبكاها. هو الخطيب المصقع الذي تتلاعب بالعقول معانيه، ويصاغ الدرّ من لفظ فيه. هو الخطيب الذي تهتز له المنابر، وتنقاد إليه كلمات السحر متسابقة. آخذاً بعضها برقاب بعض.



وقيل في الكتابةِ شعراً

قال البحتري في صناعة الكتابة ما يلي:

تفننت في الكتابة حتى ... عطّل الناس فنّ عبد الحميد

في نظام من البلاغة ما شـ ... ـك امرؤ أنه نظام فريد

وبديع كأنه الزّهر الضّا ... حك في رونق الربيع الجديد

مشرق في جوانب السمع ما يخـ ... ـلقه عودة على المستفيد

ما أعيرت منه بطون القراطيـ ... ـس وما حملت ظهور البريد

حجج تخرس الألدّ بألـ ... ـفاظ فرادى كالجوهر الممدود

ومعان لو فصّلتها القوافي ... هجّنت شعر جرول ولبيد

حان مستعمل الكلام اختيارا ... وتجنبن ظلمة التعقيد

وركبن اللفظ القريب فأدركـ ... ـن به غاية المراد البعيد

كالعذارى غدون في الحلل البيـ ... ـض إذا رحن في الخطوط السود

وقال أيضاً:

وإذا دجت أقلامه ثم انتحت   برقت مصابيح الدّجى في كتبه
فاللفظ يقرب فهمه في بعده   منّا ويبعد نيله في قربه
فكأنها والسمع معقود بها   شخص الحبيب بدا لعين محبّه

وقال علي التنوخي في هذا المجال:

خط وقرطاس كأنـ   ـهما السوالف والشعور
وبدائع تدع القلو   ب تكاد من طرب تطير
في كل معنى كالغنى   يحويه محتاج فقير
أو كالفكاك يناله   من بعد ما يأس أسير
وكأنها الإقبال جا   ء أو الشفاء أو النشور
وكأنها شرخ الشبا   ب وعيشه الخطل النضير



المطالعة المفيدة.. وشروطها

هل للمطالعة شروط لا تتم إلا بها؟!. فإن كان الأمر كذلك، فما هي هذه الشروط؟. وكيف يتم تطبيقها؟.

وتجدنا نقول نعم. فلكل أمر إذا ما أراد المرء إحسانه، أن يلتزم بشروط توصله إلى مراده ذاك. ونرى هنا أن للمطالعة شروط نذكر أهمها فيما يلي:

1 ـ تحديد الهدف من المطالعة، هل هي للتسلية فقط؟. أم لاكتسابِ فائدة ما في مجال ما؟. أم للتزود بمادة ما من مرجع ما بقصد دعم الكتابة في مجال ما؟. أم غير ذلك؟. وبالتالي تحديد الموضوع أو المواضيع التي يفترض في الكتاب أن يتضمنها؟. وما مدى التوسع أو الاختصار المرغوب فيه؟.

2 ـ تقرير ما إذا كان من الضروري اقتناء الكتاب المعني، وما يتطلبه الأمر من البحث عنه في المكتبات التجارية؟. أم مجرد الاضطلاع عليه في مكتبة عامة؟.

3 ـ فإذا تقرر اقتناء الكتاب فلا بد من اختيار حجم الكتاب المناسب، وشكله، ونوع طباعته، ومستوى تجليده. . . إضافة إلى الموضوع أو المواضيع التي يضمها بين دفتيه. الذي يتم تصفحه عند الشراء من أجل ما يلي:

ـ التأكد من اكتمال الصفحات وأنها جميعاً سليمة، وأن ليس من عيوب في طباعة أي منها وهي عديدة منها.

- أن يكون الورق من النوع الذي يشف فتصبح الكتابة مشوشة نوعاً ما.
- أن تكون ثمة عيوب من التحبير في بعض الصفحات.
- أن تكون بعض الصفحات مقصوصة بطريقة خاطئة. . .

أو أية عيوب أخرى.

ـ التأكد من أن المواضيع التي يحتويها الكتاب هي المواضيع المرغوب بها، وأنها مرتبة بصورة جيدة بالرجوع إلى المقدمة التي تبين الهدف من الكتاب والمواضيع الرئيسية الواردة فيه وكيفية معالجتها. والفهرس الذي يبين تفاصيل المواضيع الرئيسية والفرعية.

ـ التأكد من أن أسلوب الكتاب مناسب من حيث معالجة الموضوع، وشرح أفكاره، ولغته. عن طرق قراءة مقتطفات من كل موضوع، أو بعض أهم المواضيع التي يتطرق لها.

وغير ذلك من الأمور الخاصة كالثمن ومقدار الفائدة المرجوة، وغيره. . .

5 ـ طريقة القراءة، لا شك أن الهدف الذي يحدد نوعية الكتاب. . . هو الذي يحدد طريقة القراءة أيضاً. وذلك كما يلي:

ـ القراءة من أجل التسلية وتمضية الوقت، فلا بأس من أن يقضي أحدنا بعض وقت فراغه بمطالعة مفيدة، حتى لو كانت الغاية التسلية. فالترويح عن النفس أمر يعيد لها نشاطها لتمارسه في أمور الحياة الأخرى الضرورية. إلا أن المطالعة حتى بهذا الهدف لن تكون بلا فائدة ثقافية. إلا إذا لم يحسن المرء اختيار الكتاب المسلي. وقد يكون شكل الكتاب بصورة مجلة دورية أو غير ذلك. إلا أن ثمة مواضيع مسلية تتضمنها مثل هذه المجلات أو كتب التسلية يمكن أن تمنح المرء التسلية والثقافة بمستوى معين. وعادة ما يعتمد ذلك على طبيعة الشخص وهواياته. . . فمن الناس من يتسلى بقراءة الشعر، ومنهم من يجد في القصص والروايات الراقية تسلية له، ومنهم من يلجأ إلى الدوريات المتخصصة علمية كانت أم فنية أم مهنية أم سياسية أم اجتماعية أم غير ذلك. . . ولكل منها أسلوبها ومميزاتها. ولكل شخص اختياراته.

أما طريقة المطالعة لمثل هذه المنشورات من كتب ومجلات ودوريات فعادة ما يعتمد التصفح، والسرعة في القراءة، وعدم التركيز غالباً كلما كانت المواضيع غير علمية. . . وتتميز بالبساطة في الموضوع وأسلوب الكتابة. والعكس صحيح.

على أن تطوير مهارات كالسرعة في القراءة، وحسن الاستيعاب، من الأمور الممكنة التحصيل بالتدريب والممارسة. بقدر ما هي أمور على غاية الأهمية في القراءة للمواضيع العلمية أو ذات الأسلوب الأكثر تعقيداً.



القراءة الإلكترونية

أدى انتشار الأجهزة الإلكترونية والتعامل معها بصورة واسعة جداً في العالم. إلى نشوء ما يدعى بشبكة الاتصال العالمية (إنترنيت INTERNET). جعلت كثيراً من القراء ينتقلون بصورة كاملة أو جزئية إلى القراءة الإلكترونية هذه. وفي الوطن العربي الذي بدأت هذه الطريقة في المطالعة تنتشر بشكل أو بآخر، فإن عدداً غير قليل من المثقفين أو على الأقل المتعلمين ممن يحسنون اللغة الإنكليزية أو أية لغات أخرى أخذوا يتعاملون مع شبكة «الإنترنيت» بصورة ما، ولأغراض شتى منها، الأغراض العلمية والتي يختص بها الباحثون وطلاب الدراسات العليا غالباً والتي يجدون فيها ما يرغبون به من مراجع علمية، أو لنشر أبحاثهم ودراساتهم الخاصة بهم. ومنها الأغراض التجارية التي يرغب بها رجال الأعمال للتعرف بمصادر توريد، أو منافذ تصدير لمنتجاتهم، أو للتعريف بأنفسهم وبمنتجاتهم. . . أو لمجرد التسلية والتي يجد الشباب فيها مجالات واسعة أيضاً كالتعريف بأنفسهم وهواياتهم، والتعرف على من يشاركهم فيها. . . والمراسلة والاتصال معهم عبر شبكة الإنترنيت. . . أو

ممارسة هواياتهم الإلكترونية والبرهنة على قدراتهم في الدخول إلى بعض البرامج الخاصة. وغير ذلك. . . علماً بأن التعامل باللغة العربية أصبح ممكناً أيضاً على صفحات هذه الشبكة.

والمطالعة بهذه الطريقة بحاجة إلى اقتناء جهاز حاسب مناسب، مزود بذاكرة مباشرة وذاكرة صلبة يتمتع كل منهما بطاقة تخزين ملائمة، إضافة إلى جميع ملحقاته من لوحة مفاتيح، وشاشة، وطابعة مناسبة إذا رؤي ذلك ضرورياً، وبرنامج تشغيل مناسب أيضاً، إضافة إلى جهاز «مودم». . .

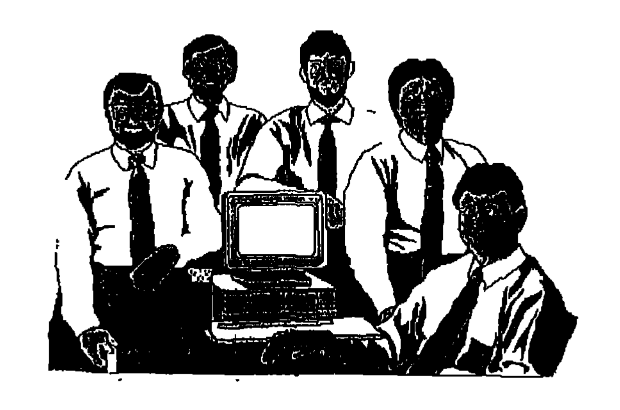
كما تتطلب القراءة الإلكترونية أيضاً، تدريباً على كيفية تشغيل البرامج وعمليات الإدخال والاسترجاع للمعلومات. . . لا سيما برنامج «الإنترنيت» وكيفية الاستفادة منه. سواء بالبحث، أو فتح موقع خاص بالمستخدم، والتخزين، . . . إلخ.

وعلى من يرغب مزيداً من المعلومات عن شبكة «الإنترنيت» أو التعامل معها الرجوع إلى الكتب، أو المراكز المتخصصة بالإلكترونيات والاتصالات الإلكترونية وتنمية المعارف والمهارات التقنية، والتي انتشرت بصورة واسعة هذه الأيام في مختلف المناطق المدنية. ونكتفي هنا بالإشارة ولفت الانتباه إلى ذلك فقط، كجانب مكمل لموضوعنا الأصلي فقط.

وجدير بالذكر أن «الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية» التي تتخذ من العاصمة السورية مقراً لها، وتفتح لها فروعاً في مراكز المحافظات. تعمل حسب نظامها الداخلي على نشر الثقافة المعلوماتية في القطر عن

طريق تبني وتشجيع البحوث والدراسات والأنشطة التي تفيد في هذا المجال.

ولا نشك في أن ثمة جمعيات أخرى مماثلة في الأقطار العربية الأخرى، وغير العربية أيضاً، يمكن أن يؤدي التعاون بينها على نشر وتطوير تحسين استخدام هذه التقنيات والتعامل معها بالشكل المفيد للأمة وأفرادها من جهة، وللمجتمع الإنساني الذي لا بد لنا من المساهمة في حركته الحضارية بكل ثقة وقوة، بالتعلّم والتدريب والتثقف.



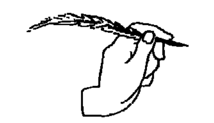


الفصل الثاني عشر

مستقبل الكتابة والقراءة والنشر
في ضوء المستجدات العصرية

- تمهيد
- الظروف الجديدة والمستجدة
- الجات وحماية الملكية الفكرية
- الفضائيات وشبكة الإنترنيت
- اقتراحات وحلول
- قواعد وأسس جديدة
- هل من تغيير في اللغة وقواعدها
- خصائص عصر السرعة





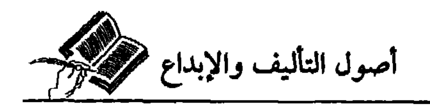
تمهيد

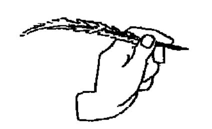
في الفصول السابقة، تحدثنا عن الكتابة من تأليف وترجمة، والقراءة، والنشر، وتطرقنا إلى مشاكل، وتفرعات كل منها... إلخ. وكنا في كل ذلك نتحدث عما كان، أو ما هو قائم في الوقت الحاضر، وقلما تطرق الحديث بنا إلى مستقبل الكتابة والقراءة، ولا سيما بعد أن عرفنا أن ثمة أموراً كثيرة مستحدثة بدأت تؤثر على القراءة، وبالتالي على الكتابة والنشر بالطرق التقليدية المعروفة اليوم.

فما هي الظروف الجديدة؟.

وكيف تؤثر في مسائل الكتابة والقراءة والنشر؟.

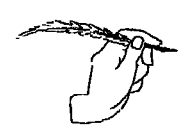
وما هو المستقبل في هذه المجالات الثلاثة؟.





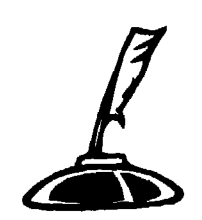
الظروف الجديدة والمستجدة

ذكرنا في فصل سابق أن ثمة مخترعات وتقنيات عصرية استجدت في المحيط الثقافي الإنساني. من هذه الأمور ذكرنا «الراديو» و«التلفاز» و«الڤيديو» و«الكمبيوتر» ونضيف هنا ما استجد في عالم الاتصالات من محطات فضائية تستخدم تقنيات الأقمار الصناعية وكافة التطورات الحديثة الأخرى في مجال الاتصالات والإلكترونات. مما أعطى بعض الاهتمامات كالاهتمامات الرياضية على سبيل المثال، أبعاداً جديدة تستهلك من وقت المشاهد، الذي هو بنفس الوقت واحد من القراء المحتملين، أكثر مما كانت تأخذ من وقته سابقاً.. كما أن هذه التقنيات جذبت وضمت لهؤلاء المهتمين الأصليين جماهير أوسع تتابع ما يعرض لها على الشاشات في شتى أنحاء العالم من مباريات وأخبار رياضية... التي أخذت تحظى باهتمام أكبر من رجال الأعمال، الذين أخذوا بدورهم يدعمون هذه البرامج، لصالح استغلال هذا الحجم من المشاهدين على هذا المستوى الواسع جغرافياً، في الدعاية لمنتجاتهم. مما يشجع العاملين على بث مثل هذه البرامج، على زيادة حرصهم على تحسين شروط بثها وزيادة الأوقات المخصصة لها في برامج المحطات والإعلان عنها مسبقاً...

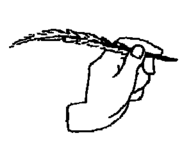


الجات وحماية الملكية الفكرية

هذا وجدير بالذكر أن اتفاقيات «الجات» التي يتوقع شمول تطبيقها أقطار الوطن العربي قريباً. تضمنت فصلاً يختص بحماية الملكية الفكرية، وحرية الاتصالات... رغم النص على بعض القيود والاستثناءات التي يمكن لدولة ما أن تتمسك بها. إلا أن معظم النصوص كما يبدو تخدم مصالح الدول المتقدمة التي تملك التكنولوجيا وبراءات الاختراع، ومراكز البحوث العلمية المهمة. أما ما يتعلق بالحماية الفكرية للأبحاث والمؤلفات فثمة اتفاقيات قديمة لا زالت تنظم هذا الأمر. رغم ما يحصل في الواقع من سرقات أدبية وفنية وعلمية... لا مجال للحديث عنها هنا.

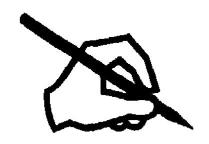






الفضائيات وشبكة «الإنترنيت»

ولا شك أن الفضائيات التي لا تأخذ الإذن اليوم في الوصول إلى المشاهد، كما أن شبكة «الإنترنيت» عبر الحواسيب، وغيرها من التقنيات في مجال الاتصالات، تجعل من الصعب على أية أجهزة رقابية أن تمنع هذا الوصول، أو تضع رقابة ما عليها، رغم ما يقال عن أنظمة ترشيح «فلاتر» من نوع ما يمكن استخدامها أحياناً، بصورة ما. ولكننا نشكك بقدرة هذه الأنظمة على تحقيق أهدافها المرجوة.

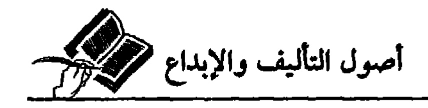




اقتراحات وحلول

وهكذا، فالأمر يتطلب دراسة جدية تبحث المشكلة من جميع جوانبها وكافة أبعادها، من قبل جميع المهتمين بالأمر، للوصول إلى حل مناسب، قد يكمن في تطوير عمليات الكتابة، والقراءة، والنشر، لتتلاءم والمناخ العصري الجديد. كالانتقال للكتابة والقراءة الإلكترونية مثلاً. . . رغم استبعادنا الاستغناء عن الكتابة أو القراءة بالأسلوب التقليدي وبالتالي النشر بهذا الأسلوب، على الأقل في المستقبل المنظور.



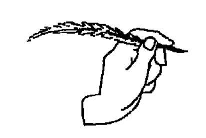




قواعد وأسس جديدة محتملة

ومهما يكن الأمر فهل تتغير الأسس والقواعد التي أشرنا إليها في هذا البحث؟. أم أنها تبقى ضرورية وذات أهمية، رغم التغيير المحتمل؟. أم أن بعض هذه القواعد والأسس سوف يتغير، وبعضها سوف يلغى، بينما يكون هنالك ضرورة لاتخاذ قواعد وأسس أخرى؟.

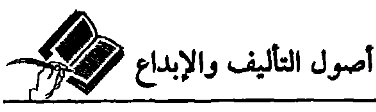




هل من تغيير في اللغة وقواعدها

قد يكون الجواب أن ثمة تغييرات قد تمس أسلوب التقديم، وليس الأفكار. . أو اللغة التي تقدم بها الأفكار، فكيف يكون تأثير هذه التغييرات يا ترى؟. ومن يضمن أن تكون ثمة تغييرات في الأفكار، أو اللغة؟!. فهل من الممكن أن تحدث مثل تلك التغييرات؟!.

كما قلنا أعلاه، ليس ثمة ما يشير إلى حصول ذلك في المستقبل المنظور على الأقل. ولكن الأمر قد يقتصر على التغيير في الأسلوب بما يتناسب وطبيعة الوسائل السمعية والبصرية التي تقدم هذه المؤلفات، أو المنتجات العلمية، أو الأدبية، أو الفنية. فقد رأينا كيف تطور فن التمثيل، من الاقتصار على التمثيل المسرحي قديماً، إلى التمثيل السينمائي، ثم التمثيل الإذاعي، فالتمثيل التلفزيوني. وتأثير كل شكل من الأشكال المستحدثة على الشكل الذي سبقه، والذي ربما اقتصر على مدى الانتشار، دون إلغائه. تماماً كما لم يلغ المسرح ولا السينما ولا التلفاز ولا الإذاعة، القصص والروايات المطبوعة. . . وبالتالي الكتابة والقراءة



والنشر بالطرق التقليدية المعروفة قبل ظهور هذه الأساليب في عرض المؤلفات القصصية أو الروائية.

واليوم أضيف لهذه الوسائل كما بينا أعلاه الحاسوب «الكمبيوتر»، وتقنياته، وتقنيات الاتصالات الأخرى. ولا سيما شبكة «الإنترنيت» والتي تتيح للمستخدم أن يدخل إلى ملفات أعدها آخرون بترخيص ما منهم أو من وكلائهم، وأن يأخذ لنفسه موقعاً، وأن ينظم ملفاته الخاصة، ويعرض ما يريد على هذه الشبكة... إن الاشتراك بمثل هذه الشبكة ستتيح للمستخدم أو المشترك، الحصول على المعلومات التي يريدها... فهل تفقد القواعد اللغوية أهميتها في هذه الحالة؟.

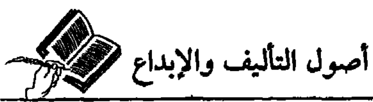
لا نعتقد ذلك، فالمستخدم سوف يتعامل مع النصوص التي تتناسب واهتماماته نفسها. كالتعامل مع النصوص الأدبية أو الشعرية، أو النصوص العلمية، أو الفنية. فهي تبقى تخضع في رأينا لنفس القواعد والأسس ما دامت مكتوبة بنفس اللغة، وما دام الغرض من استخدامها هو نفس الغرض لم يتغير.

قد يكون الجديد في الأسلوب، ليس فقط ليتناسب والوسيلة التي تقدم العمل الأدبي أو الفني أو العلمي. وإنما لأن ظروف التغيير في ظروف الحياة عامة أخذت تنتج تأثيرها على جميع نواحي الحياة الإنسانية، بما فيها أسلوب الكتابة، والمطالعة، وربما النشر أيضاً...

خصائص عصر السرعة

كلنا يستخدم تعبير عصر السرعة كوصف ملائم للعصر الذي نعيشه. فضيق الوقت بسبب تضخم التجمعات المدنية، وتعقد وسائل الانتقال من مكان لآخر فيها، والازدحام الناجم عن ذلك، ناهيك عن تعقد أمور الحياة المدنية، ومتطلبات الحياة العصرية، ومفرزات الحضارة المادية، وما تخلقه من تعدد وتنوع هذه المتطلبات... كلّ ذلك وغيره من العوامل تؤكد هذا الوصف. حتى إن المرء لم يعد يجد الوقت الكافي لممارسة هواياته أياً كان نوعها كما كان يفعل آباؤنا من قبل... لذا أصبح، والحال كذلك، على المرء أن يتكيف مع هذه الظروف المستجدة، فهو أمام خيارات محدودة جداً لممارسة هذه الهوايات، إن في المطالعة أم في الرياضة، أم في الفنون الأخرى... أم غير ذلك.

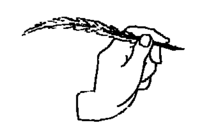
لذا، أصبحنا نستمع إلى الأغاني الخفيفة، والقصيرة بدلاً من أغاني وقصائد عبد الوهاب وأم كلثوم الطويلة. وأصبحنا نرى اتجاهاً لطباعة الكتب بحجوم أصغر مما تعودنا عليه في الماضي، وبرز ما يدعى اليوم بكتاب الجيب... ونحن وإن كنا نؤمن بأن الحجم مهم في أمور



كثيرة. . . ولا سيما بالنسبة للكتب المرجعية. إلا أننا نرى ضرورة التخفيف في الحجوم، وأن ما يدعى «بكتب الجيب» يمكن أن تحل مشكلة المطالعة في عصرنا هذا. . فماذا يضر أن تنال الثقافة على جرعات خفيفة. . . وتناسب حسن استغلال الوقت الضيق. فحمل الكتاب لاستخدامه كلما كان الوقت مناسباً، يعتبر حلاً موفقاً لمشكلة العصر برأينا.

كما يمكن للكتابة أن تتجه للاستفادة من انتشار الوسائل العصرية الأخرى من «كاسيت» و«ڤيديو» و«حاسوب» وأقراص ليزرية وغير ليزرية. . . كلما كان ذلك ممكناً. ويلاحظ اليوم بعض الاستخدامات التي بدأت تشيع سواء في مجال النشر (برامج خاصة بالتنضيد الضوئي) وكذلك ما أخذ يستخدم في المحاضرات من أجهزة تدعى «بروجتور» أو «داتاشو» وهي تشبه الفانوس السحري (حيث يتم تحضير البنود والمعلومات الأساسية على صفائح بلاستيكية شفافة، توضع أثناء المحاضرة على الجهاز الذي يعكسها على شاشة مكبرة خاصة موجهة إلى الجمهور. . . كما يمكن أن تستخدم بعرض مواد مخزونة في ذاكرة الحاسوب أثر استدعائها. . .). وغير ذلك من الوسائل المستحدثة التي يمكن أن تحسّن من أساليب التواصل اللغوي بشتى أشكاله. وذلك لقاء بعض التغيير في الأسلوب، دون أن تلغي أشكال هذا التواصل أو تؤثر في اللغة وقواعدها. . .

ولعلنا نكون بذلك على الطريق الصحيح، في نشر واكتساب الثقافة. لندخل القرن الحادي والعشرين دخولاً حضارياً قوياً يتناسب وطموحاتنا وتطلعاتنا.



ثبت المراجع

(أ) المراجع باللغة العربية:

1 ـ أحمد الهاشمي «**جواهر الأدب**» دار الكتب العلمية ـ بيروت.

2 ـ أحمد الهاشمي «**جواهر البلاغة**» المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر.

3 ـ د. جودة الركابي، إسماعيل عبد الكريم، حسام الخطيب «**الوافي في الأدب العربي الحديث**» مكتبة أطلس ـ دمشق.

4 ـ الدكتور عبد العزيز عتيق «**علم البيان**» دار النهضة العربية ـ بيروت.

5 ـ الخطيب التبريزي «**الوافي في العروض والقوافي**» ـ دار الفكر ـ دمشق.

6 ـ الشيخ مصطفى الغلاييني «**جامع الدروس العربية**» ـ المكتبة العصرية ـ بيروت.

7 ـ د. محمود فهمي حجازي «علم اللغة العربية» ـ وكالة المطبوعات ـ الكويت.

8 ـ ألكسندر روشكا ـ ترجمة د. غسان عبد الحي أبو فخر «الإبداع العام والخاص» ـ عالم المعرفة ـ الكويت.

9 ـ د. نايف خرما ـ د. علي حجاج «اللغات الأجنبية ـ تعليمها وتعلمها» ـ عالم المعرفة ـ الكويت.

10 ـ محمد غازي التدمري «التعبير الفني» مطابع الروضة النموذجية ـ حمص.

11 ـ شهاب الدين الأبشيهي «المستطرف من كل فن مستظرف» ـ دار الندوة الجديدة ـ بيروت.

12 ـ د. ياسين الأيوبي «أساليب الكتابة الفنية والعلمية» ـ مقالة ـ مجلة المعرفة ـ العدد (421) ـ أكتوبر 1998 ـ دمشق.

وغيرها...

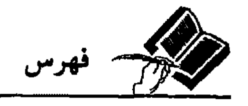
(ب) المراجع باللغة الإنكليزية:

1 - KATEL L. TURABIAN «A MANUAL FOR WRITERS» - THE UNIVERSITY CHICAGO PRESS.

2 - JACQUES BARZUN AND HENRY F. GRAFF «THE MODERN RESEARCHER» - HARCOURT BRACE JOVANOVICH, PUBLISHERS - NEW YORK.

3 - JAMES C. FREUND «SMART NEGOTIATING» - SIMON & SCHUSTER - NEW YORK.

AND SO...



فهرس



